

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة - بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



جامعة بجاية
Tasdawit n' Bgayet
Université de Béjaïa



جامعة بجاية
Tasdawit n' Bgayet
Université de Béjaïa

عنوان المذكرة

اللغة والكلام في التراث العربي القديم والدرس اللساني الحديث
- دراسة في المفهوم -

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصّص: لسانيات عربية

إشراف الأستاذة

د/نسيمة حمّار

إعداد الطالبتين :

- نور الهدى هداج

- سعاد بومريجة

السنة الجامعية: 2022 - 2023م

أهداء

أهدي هذا العمل إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، وأرجو من الله أن يمدد من عمره ليبرى ثمارا
قدحان قطفها بعد طول انتظار، فستبقى كلماته نجوما أهتدي بها اليوم وغدا وإلى الأبد والذي
العزيرز " سمير " حفظه الله.

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان بسمه الحياة وسر الوجود إلى، من كان دعاؤها
سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي أمي العزيزة.

وإلى من عرفت معهم الحياة وأرى التفاؤل والنور بعيونهم أخي " أيمن " وأختي " آية " حفظهما
الله .

إلى جدتي الغالية التي أعتبرها كأم ثانية نظير دعائها المتواصل لي بالنجاح ببارك الله في عمرها
وأدامها تاجا فوق رؤوسنا .

إلى من شجعتني و كانت معي في هذا المشوار صديقتي العزيزة سعاد .

نور الهدى

إهداء

- * إلى من علمتني العطف والحنان والتسامح والوفاء أُمي الغالية.
- * إلى أعظم الرجال صبرا ورمز الحب والعطاء، إلى من عودني قول الصدق ذلك الرجل الذي اعتبره المثل الأعلى من الرجال أبي العزيز.
- * إلى من جمعني معهم ظلمة الرحم أخوأي وأختي (كريم، عبد الحق، سيهام) حفظهم الله.
- * إلى كل عاشق للغة القرآن وخادم لها.
- * إلى كل من أحبني ويُحبنى زوجي العزيز " رضا " أطال الله في عمره.
- * إلى صديقتي العزيزة والوفية نور الهدى التي تعبت في هذا المشوار.
- * إلى من ساعدني في هذا العمل المتواضع وقدمت لي النصائح والتوجيهات والإرشادات القيمة أستاذتي: نسيمه حمّار جزاها الله خيرا.

سعاد

كلمة شكر وعرfan

الحمد لله على نعمة، والصلاة والسلام على صفوة خلقه وأنبيائه وعلى آله وأصحابه بعد:

يطيب لنا وقد منَّ الله علينا بإكمال هذه المذكرة أن نرُد الجميل لأهله، وننسب الفضل لأصحابه، فالشكر لله أولاً وآخراً على نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة على ما يسر لنا من إنجاز هذه المذكرة، فله الحمد والثناء بما هو أهله.

وانطلاقاً من قول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - " لا يشكر الله من لا يشكر الناس" (رواه أحمد والترمذي)، نتقدم بجزيل الشكر والتقدير للصرح العلمي الشامخ بجامعة عبد الرحمن ميرة - بجاية - كما نقدم شكرنا لكلية الآداب واللغات.

وبأصدق العبارات وأوفاهما نقدم شكرنا وتقديرنا للمشرفة على هذه المذكرة الأستاذة "نسيمة حمّار" على ما أولته لنا من اهتمام ونصح وإرشاد، وعلى ما أفادته لنا من مكتبتها فجزاها الله خيراً ما جرى به أستاذنا عن طالبه.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بكل الشكر والامتنان لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل ولو بالدعاء.

{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} هود 88

مقدمة

حظيت اللّغة كظاهرة فكرية اجتماعية بوافر الدّراسات على مر العصور وتعاقب الحضارات، فسعت هذه الدراسات سعياً حثيثاً نحو بلوغ الغاية العلمية والدقة والموضوعية في كشف أسرار اللّغة تلك الميزة الإنسانية، وذلك الكنز الاجتماعي المودع في البشر، وتتابعت الدراسات اللّغوية محاولة اللّحاق بالركب العلمي، وتحقيق مكانة مرموقة بين العلوم والمعارف الإنسانية فشهدت في مسيرة تطورها تحولات وتغيرات، كان لها كبير الأثر في هذا المجال حتى بلغت في العصر الحديث منزلة رفيعة بين مختلف ميادين البحث العلمي، فعلم اللّغة اليوم علم مستقل بذاته، قائم على أسس منهجية ومفاهيم إجرائية نابعة من صيغ اللّغة كموضوع لهذا العلم.

ولعل أهم نقطة تحول شهدها علم اللّغة طوال تاريخه الحافل بالإنجازات، تلك النظرية اللسانية التي ظهرت على يد العالم اللّساني السويسري فردينا ند دي سو سير Ferdinand De Saussure؛ هذه النظرية التي استندت أسسها المعرفية إلى جهود من سبقوها من رواد علم اللّغة، فمثلت بذلك تأسيساً لمنهج علمي جديد في الدراسات اللغوية سعى لدراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، فقد قام على مفاهيم ترسخت في ميدان البحث اللّغوي على الرغم من اختلاف التوجهات والرؤى حول كيفية معالجة الظاهرة اللّغوية.

وقد تمثلت أهم المفاهيم اللسانية فيما اشتهر بثنائيات دي سو سير باعتباره واضعاً لها، وإن كان مفهوم ثنائية " اللّغة والكلام " قديماً قد تعرض له بالدراسة علماء العربية قديماً، غير أن معطيات تلك الفترة الزمنية مختلفة عما جاء به الدرس اللساني الحديث، لذلك أردنا البحث في موضوع: اللّغة والكلام في التراث العربي القديم والدرس اللّساني الحديث.

والتأمل في موروثنا اللّغوي يجد كثيراً من الأفكار العربية الأصيلة، تمثل جذوراً لنظريات لسانية غربية حديثة وليس مستبعداً أن يكون علماء الغرب قد درسوا تراثنا الحضاري، وتأثروا به فاستمدوا منه بعض المفاهيم وطوروها. وكان من أهم أسباب اختيارنا لهذا الموضوع الرغبة في معرفة هذين المفهومين - اللّغة والكلام-، والبحث فيما كان لعلماء العربية من فضل في السبق إلى دراسة المفهومين، وتكمن أهمية هذا الموضوع في تعريف القارئ العربي بما جاء في التراث العربي القديم ومقارنته بما توصلت إليه اللسانيات الحديثة.

يطرح هذا الموضوع إشكالية مهمة تتمثل:

- هل سبق علماء العربية قديما رواد الدرس اللساني الحديث في تحديد دقيق وعلمي لمفهومي اللّغة والكلام؟ ولتتفرع عن الإشكالية الرئيسية مجموعة من الإشكاليات الأخرى منها:

- ما مفهوم اللّغة والكلام في الدرس اللّغوي قديما وحديثا؟

- أليس في تراثنا العربي ما يمكن أن يقف جنبا إلى جنب مع ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة؟ أو بمعنى آخر هل كان للعرب القدامى تفكير لساني؟

- ما هي نقاط الاتفاق والاختلاف في هذه الثنائية بين علماء العربية واللسانيين الغربيين.

وقد تصورنا بناء عاما لهذا البحث، فتصدرت المقدمة البحث، ثم المدخل ففيه تعرضنا فيه إلى المصطلحات التي ترتبط بالموضوع متمثلة في اللغة والكلام، وكذا الدراسة المفهومية وذلك بالوقوف عند مدلولها اللغوي والاصطلاحي، ثم الفصل الأول ويحمل عنوان "اللغة والكلام في التراث العربي القديم" إذ تضمن مبحثين، الأول ذكرنا فيه مفهومي اللغة والكلام عند علماء العربية المتقدمين، وأما الثاني فخصصناه للمتأخرين منهم.

وأما الفصل الثاني وسمناه "اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث" وتضمن أيضا مبحثين، المبحث الأول كان في اللغة والكلام عند اللسانيين الغربيين المحدثين، والثاني تطرقنا فيه إلى ما تناوله الباحثون العرب من آراء وأفكار حول اللّغة والكلام، لننهي البحث بعقد مقابلة لبعض آراء القدماء والمحدثين. وأنهينا البحث بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث في هذا الموضوع.

سِرنا في دراسة هذا الموضوع وفق المنهج الوصفي مرفوقا بآلية الوصف والتحليل، لأن طبيعة الموضوع أملت علينا ذلك.

ولقد واجهتنا بعض الصعوبات؛ لعل أهمها قلة المصادر التي تحتوي مفاهيم اللّغة والكلام، وبخاصة

كتب العربية القديمة

المدخل

اللغة سر الحياة وهي الفارق بين الإنسان والبهيم، والميزة التي أودعها الله في البشر، و مند أن وُجد الإنسان على سطح الأرض وهو يحاول فهم هذا العالم من خلال تعامله مع الأشياء والمدركات الحسية، وفي محاولته هذه كان يلجأ دائماً إلى عقد المقارنات بين الأشياء التي يتعامل معها، والخبرات والمواقف التي يمر بها لإيجاد أوجه الاختلاف والتشابه فيما بينها، ثم يقوم بتصنيفها إلى فئات أو أصناف حسب خصائصها المشتركة، كي تكون مفهومة عنده، وأكثر قابلية للتطبيق بين المواقف الأخرى الجديدة، وبعملية التصنيف هذه تمكن الإنسان من اختصار العديد من الجزئيات، وأصبح بمقدوره أن يستجيب لمجموعة من الأشياء المتشابهة وغير المتطابقة باستجابة واحدة هي مفهومه عنها.

1- دلالة المفهوم في اللغة والاصطلاح:

لعلّ تطور الإنسان ومروره بمختلف المعارف، وازدياد قدرته على التفكير المجرد، جعلت مفاهيمه تنمو وتتسع ، ولم يعد يتعامل مع الأشياء والمدركات الحسية فحسب، إنما انتقل إلى التعامل مع المجردات المعقدة، وهكذا نشأت المفاهيم لدى الإنسان ثم تطورت واتسعت وباتت " تعريفات المفهوم تختلف باختلاف المجالات المعرفية، فكل علم وتعريفه للمفهوم، ولكل نظرة معينة يحددها أبعاده"¹.

1-1 المفهوم في اللغة:

بالعودة إلى المعاجم اللغوية القديمة، وبتتبع مادة (ف، ه، م) يتضح في " العين " للخليل بن أحمد الفراهيدي (175 هـ) أنه بمعنى " فهمت الشيء (فَهَمًّا وَفَهْمًا)، عرفته وعقلته وفهمت فلانا وأفهمته وعرفته، وقرأ ابن مسعود ﴿ فَهَمَّتَاهَا سُلَيْمَانٌ ﴾ [الأنبياء: 79]، ورجل فَهْم : سريع الفهم"²، وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس

¹ ينظر: زهير منصور المزيدي، صيد المفاهيم، المؤسسة العربية للقيم الاجتماعية، الكويت، 2020م.

² الخليل بن أحمد، معجم العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الهلال، ج4، مادة فهم.

(395 هـ) " الفاء والهاء والميم علم الشيء كذا يقولون أهل اللغة، وفهم: قبيلة " ¹ أي معرفة شيء كان مبهما وغير واضح، فالملاحظ أن ابن فارس يحصر الفهم في علم الشيء، ومما سبق فمادة فهم لا تتجاوز ثلاثة معاني هي ' المعرفة ' و' العقل ' و' العلم ' فيقال فهمت الشيء أي: عرفته ، وعقلته وعلمته.

1-2 المفهوم اصطلاحاً:

تشير بعض المعاجم المختصة إلى أن المفهوم هو التصور الذهني للشيء في عقل الإنسان، فقد ذكر الجرجاني (741 هـ). ' المفهوم في التعريفات '، ضمن تعريفه للمعاني قال " فالمعاني هي الصورة الذهنية من حيث إنّه وضع بإزائها الألفاظ الصور الحاصلة في العقل فمن حيث أنّها تقصد باللفظ سميت مفهوماً " ² فالمفهوم على حد تعبير الجرجاني مرتبط بالعقل، ويعبر عنه باللفظ المتواضع عليه.

وعرفه ابن قدامة (682 هـ) بقوله " المفهوم ما يقتبس من الألفاظ من فحواها وإشارتها لا من صيغتها " ³، وقد ربط ابن قدامة المفهوم بالمحتوى لا بالصيغة أو بالجانب الشكلي، لذلك فمفهوم الشيء هو مدلوله المعنوي لا الشكلي.

ويطلق المفهوم على " التصور الذهني أو المعنى المجرد العام، أو على مجموع الصفات والخصائص التي

يتكون منها المعنى العام " ⁴، أي على بناء عقلي لتصنيف الموضوعات الفردية، في العالم الخارجي والداخلي، مع تجريد يكون قليلاً أو ربما كثيراً ، فهو الصورة الذهنية التي تبرز في الذهن لما نسمع دالاً صوتياً معيناً، كما جاء في

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، 1399 هـ-1979 م، دار الفكر، ج4، مادة فهم

² علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأنباري، دار الزيان للتراث، ج3، ص 281.

³ ابن قدامة المقدسي، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، 2001 م، دار القلم، ص134.

تعريف المفاهيم: "أما أبنية عقلية أو تجريدات يمكن تسخيرها في تصنيف الأشياء وأفراد العالمين الداخلي والخارجي، أو أما موضوعات كل حقول المعرفة والنشاط الإنساني، نحو الأشياء وخصايها وكيفياتها وظواهراتها المتمثلة عادة بواسطة مفاهيم أو أما مجموعة متماسكة من التقديرات المتعلقة بموضوع ما، تأسست نواته من تلك التقديرات التي تعكس الخصائص اللازمة لذلك الموضوع"¹، والمفاهيم هي بناء عقلي معنوي لا محسوس، تساعد في التمييز بين الأشياء، وفرز الموضوعات عن بعضها البعض وبها تتحدد خصائص الأشياء في مختلف الحقول المعرفية. ومن التعاريف التي أطلقت على المفهوم كذلك أنه "عملية ذهنية تشير إلى مجموعة من الموضوعات أو الخبرات أو إلى موضوع واحد في علاقاته بغيره من الموضوعات ويعتبر المعنى كلياً لأنه يمثل أفراداً مختلفين وفكراً مجرداً، لأنه يمثل الصفة السائدة في هؤلاء الأفراد"² فالمفهوم يمثل الصفات السائدة في الأفراد، وتختلف هذه المفاهيم باختلاف الصفات والأفراد أيضاً.

وعرف كذلك بأنه "كل موضوع شعوري يتضمن معنى ودلالة، فهو كل شيء يمكن أن يفكر فيه الفرد أو يميزه عن غيره من الأشياء الأخرى، وهذا ما نسميه في علم النفس بالتصور، ويلحظ فيه معنى عام أو كل ما يتمكن أن يستدل به على عدد من الأفراد أو الموضوعات"³؛ أي تلك الصورة الذهنية التي يتصورها العقل بمجرد التفكير أو التغير لشيء متجسد في الخارج.

1 وعزيز، الطاهر، "المفهوم"، مجلة المناظرة، الرباط، 2001م، سنة 1، 1409هـ/1979م، عدد1، ص141

² ج ساجر، نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، تر: جواد سماعة، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعبير، عدد48، 1999م، ص179

³ إبراهيم بيومي، أسامة محمد القفاش، بناء المفاهيم (دراسة معرفية ونماذج تطبيقية)، القاهرة 1415هـ/1998م، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، ج1، ص31

ويبقى أشهر التعريفات المتداولة للمفهوم القول بأن "معناه المنطقي هو مجموع الصفات والخصائص التي تحدد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديداً، يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى، فمفهوم الإنسان بالمعنى الأرسطي مثلاً هو حيوان ناطق"¹ فنطلق المفاهيم على الموضوعات لأجل التمييز بين موضوع وآخر.

2 _ دلالة المصطلح في اللغة والاصطلاح:

يرتبط المفهوم بالمصطلح ارتباطاً وثيقاً بل هناك من جعلهما في كفة واحدة من حيث المعنى فعلى الأرجح أن تحديد المراد بالمفهوم ثم تحديد المنهج الأنسب لدراسته مازال موضع خلاف في الساحة الفكرية، والسبب يرجع إلى التوسع في اختلاف المفهوم وبالتالي اختلاطه مع غيره، وأبرز مظاهر ذلك الخلط جعل 'المفهوم' مرادفاً 'للمصطلح' بحيث يطلق المفهوم على المضمون وينصرف المصطلح إلى اللفظ"² غير أن الاختلاف بينهما موجود وقار.

¹ المرجع سابق، ج 1، ص 31

² ينظر: سعاد كوريم، بحوث ودراسات "الدراسة المفهومية"، مقارنة تصويرية ومنهجية، مجلة إسلامية المعرفة، 1431هـ/2010م، السنة 15، ع 70..

2_1 المصطلح في اللغة:

يعود المعنى اللغوي لكلمة المصطلح إلى الجذر الثلاثي (ص ل ح)

"والصلح هو السلم"¹، ويكون الفعل صلح بمعنى "زال عنه الفساد"². ووجه صلته بالأصل الذي اشتق

منه هو أن السَّلْع يجهل معنى زوال الخلاف الذي يفسد العلاقة بين الأطراف

أما المصطلح فهو من الفعل (اصطلح) الذي يكون لازما ومتعديا، وفي حال لزومه لا يختلف كثيرا عن معنى

المصالحة فقد عدت المعاجم اصطلاح، وصالح، وتصالح، بمعنى واحد، يقول الزبيدي "الصلح بالضم كتصالح القوم

بينهم، وهو (السِّلْع) واصطلاحا وصالحا، مشددة الضاد، قبلوا التاء صادان وأدغموها في الصّاد وتصالحا واصطلاحا

بالتاء بدل الطاء، كل ذلك بمعنى واحد"³.

2_2 المصطلح في الاصطلاح:

وردت كلمة الاصطلاح عند علماء العربية قديما، وكان ابن سلام الجمحي من أوائل العلماء الذين تعرضوا

لها، غير أنه لم يقف عند تحديد دقيق لهذه الكلمة، وأما الجرجاني 741 هـ فقد حاول التعريف بهذه الكلمة

وذهب إلى أن الاصطلاح "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"⁴ فهو يجعل

¹ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1399هـ/1979م، ج1

مادة (صلح).

² محمد النجار، المعجم الوسيط، ط4، 1425هـ/2005م، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مادة صلح.

³ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: حسين نصار، مراجعة: جميل سعيد عبد الستار، أحمد فراج، الكويت،

1369هـ/1969م، سلسلة التراث العربي(16)، مادة (صلح)

⁴ الجرجاني، التعريفات، ص 13

الاصطلاح هو الخروج من معنى اللفظة لغويا إلى مجال آخر أكثر تخصيصا، وهو ما يقصد به المعنى الثانوي الذي تحمله اللفظة.

ويضيف الجرجاني قائلا: "إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما"¹ أي أن كلمة مصطلح تخصصت للدلالة على لفظ معين متفق على استعماله وذلك بعد نقله عن معناه اللغوي الموضوع له في الأصل إلى معنى جديد اتفقوا عليه ثم تخصصت أكثر " اللفظ الذي اتفق على استخدامه في ميدان معين للتعبير الدقيق عن المفاهيم العلمية فيه"².

3_ بين المفهوم والمصطلح:

على الرغم من التقارب الموجود بين المفهوم والمصطلح، إلا أن الفروق موجودة، فمن التعريفات السابقة للمفهوم والمصطلح فإنه " يقتضي التمييز بينهما بتغير الفرق بين ما يشغلان عليه من موضوعات وأول ما نلاحظه في هذا الصدد هو غموض في التفريق الدلالي بين المفهوم والمصطلح يقابله وضوح في التفريق بينها على أساس الاستعمال أي يصعب تحديد دلالة كل واحد منهما، في حين أن الفرق بينهما يتضح جليا في الاستعمال"³ ولعل صعوبة التمييز بين الاثنين دلاليا يعود إلى أمرين:

¹ المرجع السابق، ص 13.

² حياذرة مصطفى، قضايا المصطلح اللغوي 2003م، عالم الكتب الحديث، ص 13.

³ حلي عبد الرحمن، المفاهيم والمصطلحات مقارنة منهجية، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للمفكر الإسلامي، ع 30، شتاء 1465هـ/2004م، ص 74 بتصرف.

الأول: هو الاضطراب الحاصل في دلالة المفهوم، حيث تنوعت تعريفاته على نحو يضع تحديد معناه تحديدا دقيقا، والسبب الثاني في عدم التفريق بينها في الدلالة يعود إلى سابقه أو يترتب عنه¹ لأن أي خلل واضطراب في دلالة المفهوم يؤدي بطبيعة الحال إلى جعل تاريخهما أمرا غير منضبط تماما.

لكن في المقابل من هذا فإن محاولات التمييز بين المصطلحين كانت محك الدراسة والبحث، فهذه سعاد كوريم في بحث لها تقول "على النقيض من هذا الغموض الدلالي سير محاولات أخرى قائمة على أساس التداول إلى وضوح التمييز بين المفهوم والمصطلح، وذلك بناءً على اعتبارين اثنين يمثل كل منهما خصيصة متوفرة في المصطلح دون المفهوم وهما حصول الاتفاق وبلوغ مرحلة النضج"² أي هناك ما بإمكانه إزالة الغموض الدلالي بين الاثنين وهو ما للمصطلح خاصيتي 'الاتفاق' والنضج فماذا نعني بهما؟

إنّ الاتفاق أو التوافق حول تسمية المصطلحات وكيفية استعمالها من الشروط الأساسية لتأدية التواصل بها، أثناء تداولها من قبل المتخصصين في مجال ما وبغياب الاتفاق يستحيل التفاهم " نظرا لاختلاف المرجع الذي يحيل عليه المصطلح"³، وأن الاتفاق هو المعيار الذي يكسب المصطلح صفته الاصطلاحية أي يصبح غير واضح المعالم ويصعب تحديد دلالاته العلمية بدقة.

أما الصفة الثانية الخاصة بالمصطلح فهي النضج "المصطلح يبتكر فيوضح ويثبت ثم يقذف به في حلبة الاستعمال، فإما أن يروج فيثبت وإما أن يكسد فيمحى وقد يدل بمصطلحين أو أكثر لمتصور واحد، فتتسابق

¹ سعاد كوريم، بحوث ودراسات، ص 42، 43.

² المرجع نفسه، ص 44.

³ سعاد كوريم، بحوث ودراسات، ص 41.

المصطلحات الموضوعية وتننافس في سوق الرواج، ثم يحكم الاستعمال الأقوى فيسبقه ويتوارى الأضعف¹ بمعنى أن المصطلحات قبل أن تستعمل لابد من الموازنة، يقوم بها المختصون في مجال معين فالرياضي يتواضع على تسمية المصطلحات الرياضية وكذلك الفيزيائي والكيميائي والنحوي واللساني وغيرها، ثم تأتي المرحلة الثانية وهي الرواج أو الاستعمال فشهرة المصطلح تتوقف على مدى تداوله.

وبناء على ما سبق ذكره فالمصطلحات - تمر بمراحل وهي "النشوء والإدماج والنضج، وصولاً إلى مرحلة الاتفاق التي تمكنه من الانخراط نهائياً في العرف اللغوي الخاص"² وتعد مرحلة النضج من أهم المراحل السابقة في سيرة المصطلح إذ به يبلغ المصطلح ذروته واكتماله وكذلك نضجه فالكلمة تتحول إلى مصطلح حينما تكتسب المعنى الثانوي لها فيتفق عليها أهل الاختصاص فتكتسب الكلمة اصطلاحيتها حين تحظى بالاتفاق والاستعمال.

4_ بين الدراسة المفهومية والاصطلاحية:

إن المفاهيم والمصطلحات "تتشارك في كونها بيانات لفظية وتحمل تصورات خاصة بمجالات معينة وتتفرد المصطلحات باستمرار شروط اصطلاحيتها المتمثلة في النضج والاتفاق التي تجعلها أقوى من المفاهيم والألفاظ اللغوية في أثناء التداول، ويستفاد من مجموعة هذين الفرقين فرق ثالث مفاده أن المصطلح مرحلة بعد المفهوم واللفظ اللغوي المجرد، فما بعد تمام النضج والاتفاق يسمى مصطلحاً وما قبل ذلك يسمى مفهوماً"³.

¹ المسدي عبد السلام، قاموس اللسانيات، عربي-فرنسي/ فرنسي-عربي، مع مقدمة علم المصطلح، طرابلس، 1914، الدار العربية للكتاب، ص 26

² ادريسو سلام، مدخل تأسيسية لبناء فقه شمولي، شؤون المصطلح الفلسفي الإسلامي، مجلة دراسات مصطلحية، فاس معهد الدراسات المصطلحية، 2006/1467م، ص 167.

³ المرجع نفسه، ص 50

وبالتالي يكون من السهل الإفراز بين الاثنين بالنظر لخصائص كل منهما لتفادي التداخل بين المفهوم والمصطلح وبين الدراسات المصطلحية والدراسات المفهومية.

أما الدراسة المفهومية " بصفة عامة هي ذلك المجموع من المعاني المفهومة من الألفاظ، المرتبة والمصنفة الموضوعية في نسق مفهومي معين، ولذلك فإن الدراسة المفهومية تعتبر أحد أركان الدراسة الاصطلاحية بل وخالصتها وزيدتها، ففيها تدرس النتائج المفهومة والمستخلصة من دراسة نصوص المصطلح، وما يتصل به وتصنف هذه النتائج تصنيفا مفهوميا عبر مجموعة من العناصر المنهجية التي تعين على استخلاص التصور المستفاد من نصوص المصطلح المختلفة " ¹ وتكون الحاجة لمثل هذا النوع من الدراسة - المفهومية - لغرض حماية المفاهيم وتحديد أبعادها المعرفية " لأن تدمير المفاهيم وتشويهها أو تغييرها يشكل خطورة كبرى على العقائد والأفكار لأي أمة ، ولهذا كان الحفاظ على مفاهيم الأمة وبنائها من جهة ومحاربة المفاهيم المعادية من جهة أخرى، ركنين أصيلين في عملية الصراع " ²؛ أي أن كثيرا من المشاكل تنتج عن عدم تحديد المفاهيم والوعي بها يعتبر مدخلا رئيسا لتضييق دائرة الخلاف أو إزالته حيث تجد كثيرا من نزاعات الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة أو معانٍ مشتبهة، حتى إنك تجد الرّجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها وهنا اقتناء الألفاظ واختيارها أمر ضروري فلكل مقام مقال. وكان ' فولتير ' يبدأ المناقشة دائما بقوله " حدد ألفاظك فالعلم بمعاني الألفاظ علم صحيح لا يستغنى عنه التفكير الصحيح ولا للعلم الصحيح " ³، فالمفاهيم إذا هي أساس الفكر وبها يتم التأصيل لمختلف القضايا ولا وجود لفكر دون مفاهيم.

¹ فريدة زمردة، الدراسة المفهومية أنواعها وعناصرها المنهجية، دراسة مصطلحية، ع5، 1426هـ/2005م، ص 53
² عبد الرحمن بن معاذ، بناء المفاهيم ودراساتها في سوء المنهج العلمي، بحث مقدم المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري: " المفاهيم والتحديات "، في الفترة (22، 25) جمادى، ص 4
³ المرجع نفسه.

5-ثنائية اللّغة والكلام في اللغة والاصطلاح:

اللغة من أجلّ النعم التي منّ الله بها على بني البشر، فيها يتميز الإنسان عن سائر ما عداه من المخلوقات " وقد لاحظ ذلك الفلاسفة والعلماء قديما، فقالوا إنّ الإنسان حيوان ناطق، يعنون بذلك أن النطق هو الميزة الكبرى التي امتاز بها الإنسان، وقد لفتت هذه المعجزة الكبرى (اللغة) إليها أنظار المفكرين فتساءلوا حول العلاقة بين الأسماء ومسمياتها فقد يتساءل مثلك: لماذا سمي الرجل رجل الخ ثم تطور الفكر البشري فحاول الوصول إلى معرفة العلاقة بين الأشياء أو المسميات من خلال معرفة العلاقة بين الأسماء التي تطلق عليها ، وهنا ظهرت أولى الدراسات المتعلقة باشتقاق الكلمات و ظهرت المدارس اللغوية التي يقول بعضها بالقياس وبعضها بالشذوذ ، ثم تطور البحث في اللّغة بعد ذلك من مثل هذه الأمور الجزئية إلى البحث في ظاهرة اللغة "1 ، واللّغة مع وضوح أمرها وجرانها على كل لسان وجد الدارسون في تعريفها تعريفا دقيقا بعض المشقة وانقسموا بهذه الصدد إلى فرق وأطراف وعلى الرغم من ذلك فإن مصطلح ' اللغة ' قد استخدم في التراث استخدامات عديدة سواء في اللّغة أم الاصطلاح ، وبالتالي يتضح الفرق بينها وبين الكلام

5_1 اللّغة والكلام في اللغة:

يعيد الخليل بن أحمد الفراهيدي مصطلح اللغة إلى الجذر الثلاثي " لغا (لغو): اللغة واللغات واللاغون: اختلاف الكلام في معنى واحد، ولغا يلغو(لغو) يعني اختلاط الكلام في الباطل ألغيت هذه الكلمة رأيتها باطلا

¹ نجم الدين الحاج عبد الصفا، بين اللغويين المحدثين واللغويين الغرب حول مفهوم اللغة والكلام

وفضلاً في الكلام وحشوا"¹. قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: 72]، أي رفع الصوت بالكلام ليغلطوا المسلمين.

وأما عند ابن فارس: اللغة: " اللام والغين والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما يدل على الشيء لا يعتد له والآخر على اللهج بالشيء، فالأول: اللغو مالا يعتد به من أولاد الإبل في الدّبة، يقال منه لغا يلغو لغوا وذلك في لغو الايمان، ولغا هو اللغو بعينه"²، قوله تعالى: ﴿لَا يُوَاحِدُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: 225]، أي ما لم تعقدونه بقلوبكم، وقوم يقولون: هو قول الرجل قولهم: لسواد مُقْبِلًا، والفقهاء يقولون: هو قول الرجل لا والله، والثاني قولهم: لغة بالأمر إذا لهج به ويقال: إن اشتقاق اللغة منه، أي يلهج صاحبها بها، ف جاء في لسان العرب لابن منظور في باب لغا " أن اللغة على وزن فعلة من لغوت أي تكلمت واصلها لغوة، وقيل أصلها لغى أو لغو وجمعها لغى ولغات"³، كما وردت في القاموس المحيط " في مادة ' لغو ' بالواو و جمعها على لغات ولغون"⁴

وأما الكلام في عرف اللغويين فهو يعود إلى الجذر اللغوي (ك ل م)، وعرف الخليل بن أحمد الفراهيدي الكلام بالكلم .

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم التعريفات، ج1، مادة(لغا).

² أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، (باب لغو)

³ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، ج1، (مادة لغا)

⁴ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، (مادة لغو)

"الجرح والجمع الكلوم كلمته، أكلمه، كلمًا، وإنا كالم (وهو مكلوم) أي جرحته، وكليمك الذي يُكَلِّمُكَ وتُكَلِّمُهُ، والكلمة: لغة حجازية الكلمة: تميمية والجمع: الكَلِمَ والكَلِمَ¹، هكذا حُكي عن رؤية، لا يَسْمَعُ الرَّكْبُ بِهِ رَجَعَ الكَلِمَ.

وقد جعل ابن فارس الكلام على أصلين قال: " (كلم) الكاف واللام والميم أصلان : أحدهما يدل على نطق مُفْهِمٌ، والآخر على جراح، فالأول الكلام ، نقول: كلمته ، أَكَلِمُهُ تَكَلِيمًا، وهو كليمي إذا أَكَلِمَكَ أو كَلَمْتَهُ ، ثم يَتَّسِمُونَ ، فيُسمون اللفظة الواحدة المفهمة كلمة، والقصة كلمة والقصيذة بطولها كلمة، ويجمعون الكلمة كلمات وَكَلِمًا، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: 46] ، والأصل الآخر الكلم وهو الجرح والكلام: الجراحات، وجمع الكلم كلوم أيضا ، ورجل كليم وقوم كليمي أي جرحى ، الكلام فيقال هي أرض غليظة وفي ظلك نظر².

والكلام " لكل ما يتكلم به، وهو عند النحويين اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليه مثل: " استيقظ الرجل عند طلوع الفجر"³.

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج4، مادة كَلِمَ.

² أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج5، مادة كلم.

³ ينظر : محمد محمد عوض الله، البهية في قواعد اللغة العربية، ط2، 2003 م.

5_2 اللّغة والكلام اصطلاحا:

اللغة " ليست غريزة في الإنسان فهو يتعلم اللغات بالاكتساب من خلال الاحتكاك والتفاعل مع أبناء المجتمعات وثقافتها"¹ فطبيعة اللغة أنها مكتسبة وليست فطرية في الإنسان، فالطفل الصغير حين يُولد ويعزل بعيدا عن المجتمع، لن يتمكن من التواصل بلغة المجتمع الذي عزل منه بل يجب أن يتربى فيه ليكتسب تلك اللغة.

وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في تقديم عريف محدد للغة، ويرجع سبب ذلك إلى ارتباط اللغة بكثير من العلوم، وإليكم أهم التعريفات كما التي ذكرها العلماء، عرّف الشريف الجرجاني اللغة " هي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"² ، وهذا يعني أن اللغة أصوات يعبر بها كل الناس لتلبية حاجياتهم وأنها تعبير عن اجتماعية اللغة، وقال الكفوي: " اللغة ما جرى على لسان كل قوم، وقيل: معرفة أفراد الكلمة وأوضاعها"³ فقد تعرض علماء العربية القدماء إلى اللغة في معاجمهم المختصة وتوصلوا إلى القول أنها ظاهرة اجتماعية غرضها التواصل بين مختلف طبقات المجتمع.

أما اللغة في الاصطلاح العام " فهي قدرة ذهنية مكتسبة ونسق يكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما"⁴، أي إنها ملكة ذهنية يكتسبها الإنسان، كما أنها نظام اعتباطي لرموز صوتية، تستخدم لتبادل الأفكار والمشاعر بين أعضاء جماعة لغوية واحدة ، أي أن الغرض الأساسي للغة لا يوجد فيه اختلاف هو التواصل بين المتكلمين بها غير أنها تختلف في المجتمعات الإنسانية من مجتمع لآخر، وهي تقوم على أساس الوحدات الصوتية

¹ علي احمد مذكور، تدريس فنون اللغة العربية، القاهرة، 1991م، دار الصواف، ص32.

² الشريف الجرجاني، معجم التعريفات.

³ أبو البقاء بن موسى الحسني الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش محمد المصري، ط2، 1998م، مؤسسة الرسالة.

⁴ تونيس شاهين، دراسات لغوية، عوامل تنمية اللغة العربية، ط2، 1993م، لعابدين، مكتبة وهبة، ص 21.

وتتمثل على دلالات مختلفة ، كما يستفاد من التعريفين السابقين أن اللغة وسيلة مهمة في الربط بين أفراد المجتمع الواحد و التعبير عن أغراضهم المختلفة فكرية كانت أم غير فكرية، وكل ما يهمهم من حاجاتهم الخاصة والعامة، كما أنها تخضع لتنظيم أو تبدي تنظيمها معينا في مستوياتها المختلفة سواء الصوتية أو الدلالية أي ليست فوضوية بل إنما تخضع لتنظيم محدد.

واللغة ذات طبيعة صوتية " فالطبيعة الصوتية فيها هي الأساس بينما الشكل الكتابي في المرتبة الثانية، فكثير من الناس يتكلمون لغة دون أن يستطيعوا كتابتها"¹، أي أن اللغة ترتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الصوتي، وعلاقتها بها تتميز عن مختلف الجوانب الأخرى.

وغير خاف أن الكلام مرتبط باللغة إما ارتباطا، فقد عرّف الشريف الجرجاني الكلام وربطه بالإسناد والتركيب أيضا فالكلام عبارة عن تركيب تضبطه علاقة الإسناد وفق ما قال به النحويون، وأما علم الكلام فهو العلم الذي يبحث في ذات الله عز وجل " ما تضمن كلمتين بالإسناد وهو علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام وفي اصطلاح النحويين هو المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام"².

وعرّف الكفوي الكلام " أنه أُخِذَ من الكلم، فإن الكلم يدرك تأثيره بحاسة البصر، والكلام يدرك بحاسة السمع ، والكلام اسم للمصدر وليس بمصدر حقيقة لأن المصادر جارية على أفعالها (فمصدر تَكَلَّمَ التَّكَلَّمَ)، والكلام ليس واحد منها فثبت أنه ليس بمصدر اسم للمصدر يعمل عمله، ولهذا يُقال: كلامك زيّداً أحسن، كما يقال:

¹ محمد علي الخولي، أساليب تدريس اللغة العربية، القاهرة، 2000م، دار الفلاح، ص 15.

² الشريف الجرجاني، معجم التعريفات.

تكليمك زيدًا أحسن.¹ الكلام " بالفتح في أصل شامل لحرف من حروف المباني والمعاني ولأكثر منها، ولذا قيل:

الكلام ما يتكلم به قليل كان أو كثير²

¹ أبو البقاء بن موسى الحسني الكفوي، الكليات.

² التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، ناشرون، ج 1

الفصل الأول

اللغة والكلام في التراث العربي

المبحث الأول

اللغة والكلام عند علماء العربية المتقدمين

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

المبحث الأول: اللّغة والكلام عند علماء العربية المتقدمين:

ارتبطت البحوث اللّغوية عند العرب قديماً، ارتباطاً وثيقاً بالنص القرآني، وتفسيره والتّفقه فيه، لذلك رمى البحث اللّغوي في مراميه الكبرى إلى وقاية القرآن واللّغة العربية مما يحدش فصاحتها ونظامها اللغويين، خاصة بعد شيوع اللّحن فيهما، وهذا أمر معروف حتى عند غير العرب يقول روبنز "والدراسات اللّغوية العربية استمدت روحها من (الأدب الديني) وهو القرآن الكريم في حالة العرب، والقرآن بوصفه الكتاب المقدس للإسلام وكلام الله الموحى به للنبي صلى الله عليه وسلم، كان هو رباط الوحدة على نطاق الأراضي الخاضعة للعرب كلها"¹. ومن المتعارف عليه أن جهابذة العربية وضعوا منهجاً تميز بالدقة والعلمية، في جمع اللّغة من البوادي تم تحديده زماناً ومكاناً، حتى توفرت لديهم مدونة ضخمة شملت بعض لغات العرب الموثوق حقاً بفصاحتها فمن ينظر في التراث العربي ويتأمل فيه في اتجاهاته لا بد أن يكتشف أن هذا التراث هائل كمياً و أدبياً و لغوياً ، والفضل في ذلك يعود إلى " علماء اللغة العرب فقد تركوا لنا تراثاً علمياً ضخماً، امتد إنتاجهم العلمي عدة قرون وقد تناوله بالدراسة بعض الاختصاصيين من اللغويين العرب في زماننا وبعض المستشرقين منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت هذه الدراسة جد متفاوتة في القيمة العلمية وأغلب ما كانت تتصف به، في نظرنا هو التساهل الكبير في اختيارهم لمصادر البحث، وبالتالي القبول لكل ما ترويه بعض هذه المصادر غير الموثوقة، وبناءهم عليها النظريات حول مفاهيم هذا التراث وحول منبعها وتطورها"²، ويعود السبب في ذلك إلى ظهور هذه الدراسات في زمان ازدهار النزعة التاريخية " أي النظر في الظواهر من الناحية التطورية

¹ ر ه روبينز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض، الكويت، 1970م، علم المعرفة، ص171.

² ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، أصول البحث في التراث اللغوي العربي، مجمع اللغة العربية بدمشق.

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

الزمنية لا غير، فصار الباحثون في التراث العلمي العربي من المستشرقين، لا يهتمون إلا بالبحث عن المصادر التي أخذت منها مفاهيمه¹، فلم يتم التفكير في أن يكون العرب قد ابتدعوا هاته الأفكار المنهجية فكل ما جاؤوا به فهو من الحضارة العربية كاليونان والهند... الخ. وصفة سلبية أخرى " هي تجاهل بعض الباحثين للتراث العلمي العربي في ميدان اللغة، وخصوصا ما اختص به العرب دون غيرهم ، وما أبدعوه من المفاهيم ولم يوجد ما يقابله في التراث الفكري اليوناني اللاتيني ولا في المذاهب اللغوية العربية الحديثة، وهذا التجاهل ناتج بالطبع عن جهل أولا لجوهر المفاهيم والتصورات العربية، وثانيا للاعتقاد الراسخ عند أكثر المحدثين أن ما ظهر عند العرب من الأفكار ولم يثبته اللغويين الغربيون فلا قيمة علمية له²، وهنا لا بد من العودة إلى التراث العربي الأصيل الفصيح، حيث عاش سيبويه والخليل وابن جني ... الخ، وليس الركيك والرديء منه كي لا تحدث تلك الانطباعات السلبية حول تراثنا العربي.

وقد تعامل العرب كغيرهم من الأمم الأخرى مع اللّغة والكلام ممارسة، ودراسة سواء تعلق الأمر بالمتقدمين أم المتأخرين، فكانت تعريفاتهم وتحدياتهم تعبر عن أصالة في التفكير اللّغوي عند العرب، ولا يهمنا هنا الدخول في جدال تأثير تفكير اللّغويين العرب بالثقافات السابقة، بقدر ما ننوي التركيز على إسهامهم المثير في تقديم فكرهم اللّغوي الذي يحتزن بطبيعة الحال نظرهم للغة والكلام بشكل عام، فعلماء من قبيل الخليل، وسيبويه، وابن جني، وابن فارس، الجرجاني وغيرهم... فقد قدموا دراسات فريدة من نوعها في تعاملهم مع اللّغة والكلام على نحو جعل دراستهم تتوارث عبر الأجيال لمئات السنين.

¹ ينظر المرجع السابق.

² عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر، 2007م، ج1، ص34.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

أولاً: اللغة عند سيبويه (180 هـ):

يعد الكتاب لسيبويه أول الكتب التي حوت الكثير من القضايا اللغوية، لكن بطريقة عملية تطبيقية، لأن الفترة التي عاش فيها سيبويه أملت عليه ذلك.

1_ اللغة وضع عند سيبويه:

كان سيبويه يستعمل لفظة 'وضع' 'code' للدلالة على اللغة" فقد استعمل مادة (و، ض، ع) كثيراً وذلك بصيغتي الفعل والمصدر الميمي المنبثقين من هذه المادة 'وضع، يضع، الموضع'، ويكون لهذا الأخير غالباً معنى المكان، ومن ذلك قوله: "الشعر وُضِعَ للغناء والترنم والكلام الذي لم يُوضَع للغناء والترنم وعليه فمعنى وضع عند سيبويه هو إثبات شيء لشيء آخر أو نفي هذا الإثبات"¹، وهذا يعني أن سيبويه استخدم لفظة 'وضع' اللغوي الذي يعني اصطلاح الجماعة اللغوية على وضع سميات لأشياء معينة. وقال سيبويه عن الموضع " هذا باب ما يجري على الموضع لا على الاسم الذي قبله وذلك قولك: ليس زيد بجبان ولا بخيلاً، وما زيد بأخيك ولا صاحبك، والوجه فيه الجر"²، أي الأصل والموضع النحوي يوجب الجر، ولكن الاستعمال الحقيقي جاء منه ما يخالف ذلك.

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، الجزائر 2012م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعة، ص 21.

² سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون ط3، القاهرة، 1988 مكتبة الخانجي، ج1، ص 33.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

ويرى عبد الرحمن الحاج صالح إن العرب القدامى لاحظوا " وجود كلام وهو المسموع من فم المتكلم كما ورد، وجود ما يسميه سيبويه الأصل في الكلام"¹، فهذا القول يُبين العرب القدامى، وعلى رأسهم سيبويه يستخدم للدلالة على مفهوم الوضع مصطلحا آخر، لكن بالمعنى ذاته وهو الأصل الكلام وهذا الأصل هو الوضع.

وقد عرف الشريف الجرجاني الوضع في "التعريفات" بأنه عبارة " تخصيص الشيء بشيء، بحيث متى أطلق أو أحسن الشيء الأول فهم منه الشيء الثاني والمراد بالإطلاق: استعمال اللفظ وإرادة المعنى"² ومعنى هذا أن الأشياء تخصص بأسماء معينة للدلالة عليها حيث إذا ذكر الاسم يفهم منه ذلك الشيء.

وأول نحوي عرف الوضع اللغوي وحدده هو الرضي الأستراباذي في قوله "المقصود بوضع اللفظ جعله أولا لمعنى من المعاني مع قصد أن يصير متواطئا عليه بين قوم"³، وهنا فالرضي يقصد بالوضع أنه وضع التسميات، وجعل للفظ ما لم يحتمله من معنى معين في ظل اتفاق القوم والجماعة عليه، فهنا فالوضع ليس على أساس الفرد الواحد بل تحكمه الجماعة اللغوية.

كما يرى 'الحاج صالح' أن لهذه الكلمة 'وضع' ومشتقاتها معنى آخر " لم يجعل اللفظ المعين لمعنى بل جعل الكلام على صورة معينة وتركيب معين، وذلك في مثل قوله "لأنك إنما تسألهم على ما وضع عليه المتكلم كلامه، فهذا ما يأتي في الحدود النحوية فهو الوضع النحوي أي التركيب الذي اختاره المتكلم

¹ المرجع السابق، ص 08

² الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 253.

³ الأستراباذي محمد بن الحسن، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، د ت، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مملكة العربية السعودية، ص 04.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

بالنسبة لكلامه بناء على غرض له ¹ ونلاحظ هنا أن الحاج صالح ربط مفهوم الوضع بالتركيب اللغوي الذي يحدده المتكلم قصد تحقيق عملية التواصل، وهذا ما أكده من خلال ربطه للوضع اللغوي بالموضوع المبني عليه.

ويبين عبد الرحمان الحاج صالح أن اللفظ والمعنى على حد سواء يستقيم أو لا يستقيم فسلامة اللفظ تكون بسلامته من الخطأ واللحن، حيث قال: "سلامة اللفظ لا تلزم منه سلامة المعنى وبالعكس" ²، ومعناه أن اللفظ يمكن أن يكون سليماً في حين يكون المعنى غير ذلك، كما يمكن أن يكون المعنى سليماً واللفظ غير سليم.

1_1_1 اللهجة دلالة على اللغة عند سيبويه:

بالإضافة إلى أن سيبويه استعمل كلمة 'لغة' في معنى 'اللهجة' تأسياً بأستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي في مواضع متعددة و"قد جمع الكثير من الاختلافات في اللهجة منها ما كان على مستوى الإعراب، ومنها ما كان على المستوى الصرفي، ومنها ما كان على المستوى الصوتي" ³، وهذا يعني أن سيبويه تحدث عن اللغة على أنها اللهجة وهذا راجع إلى عدة مستويات لغوية، ومن الأمثلة التي استشهد بها الفراهيدي على وجود العلاقة بين اللفظ ومدلوله قوله: "صرّ الجندب صريراً، وصرصر الأخطب صرصره كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة، وتوهّموا في صرارا الأخطب ترجيعاً" ⁴، وهذا يعني أن الخليل أدرك الاختلاف بين اللفظين

¹ ينظر: الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال.

² المرجع نفسه، ص 114

³ عمار سياسي، اللسان العربي وقضايا العصر رؤية علمية في الفهم والمنهج والخصائص، الجزائر، 2001م، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، ص 10

⁴ مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومناهجه، بغداد، 1960م، مطبعة الزهراء، ص 87.

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

الذال أحدهما على صوت الجندب وثانيهما الذال على صوت الأخطب، وهذا راجع إلى الاختلاف بين طبيعتي الصوتيين مثلا: الصوت الممتد في (صَرَ) بالتشديد إلا بما في صوت الجندب من استطالة وامتداد، وليس الصوت المقطع في (صَرًا/صَرَ) بالتضعيف إلا حكاية لما في صوت الأخطب من تقطيع، وهذا التقطيع متمثل في هذا المرجع المكون من مقطعين هذا: (صَرَ/صَرَ)، فالنحاة قد "يستعملون مصطلح لغة منسوبا إلى جماعة لغوية صغرى كأهل الحجاز، ولغة بن تميم، ولغة هذيل ... الخ"¹.

إنّ الخليل تناول اللغة بالدرس من القاعدة وليس من قمة الهرم ، فبدأ الدرس اللّغوي بما يجب أن يبدأ به بدراسة الأصوات (الحروف) التي تتألف منها مفردات اللغة، وفيه قال المخزومي " إن الخليل أول من التفت إلى الدراسة الصرفية والنحوية، فقد أعاد النظر في ترتيب الأصوات القديمة الذي لم يكن على أساس منطقي ولا على أساس لغوي، فرتبها بحسب المخارج في الفم لأنه كان منطلقا إلى معرفة خصائص الحروف وصفاتها"²، ونفهم من هذا القول أن الخليل هو أول من وضع الصوت اللّغوي في دراسته اللّغوية التي نظمها في كتابه ' العين ' وأول من جعل الصوت اللّغوي أساس اللغة المعجمي .

وأول ما يلاحظه القارئ لكتاب سيبويه والباحث فيه " اهتمامه بالمسموع من اللغة منشورا ومنظوما، وهو يحاول أن يُبين للقارئ دائما وفي كل نص ينقله ألا يستعين إلا بما ورد عن العرب الفصحاء، أو عن الذين وثق بهم

¹ سيبويه، الكتاب، ج2، ص 319.

² مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومناهجه، ص 100.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

عن فصحاء العرب ولا يأخذ إلا به¹، فسيبويه لم يكن ليصدر أحكامه على الاستعمالات اللغوية، بل اهتم باللغة التي كانت شائعة في لغة العرب.

وما يستوقف الباحث المتأمل في الكتاب اطراد استعمال سيبويه لحكم " هذا عربي جيد كثير"²، وهذا يعني أن سيبويه لم يطلق حكم (عربي) على الاستعمالات اللغوية الكثيرة، لأنها كثيرة فالكثير عنده شيء والعربية شيء آخر، وبالإضافة إلى أنه يصف استعمالا لغويا ليس هو الأكثر انتشارا وشيوعا، بأنه عربي وهذا يعني أن (عربي) لا يساوي (كثير).

ولم يقصد سيبويه بوصفه بعض الاستعمالات اللغوية ب (عربي) أن هذه الاستعمالات تمثل مستوى لهجيا محدودا في إحدى قبائل العرب، " ومن ذلك ترى رجلا قد أوقع أمرا أو تعرض له، فنقول متعرضا لعنن لم يعنه. ومن العرب من يقول متعرض ... وكُلُّ عربي"³، وهنا يصف لهجة معينة (من العرب) بقوله (عربي) فكأنه يقول لنا إن الاستعمال اللغوي في هذه اللهجة عربي، وعلى ذلك يكون الحكم ب (عربي) غير الحكم ب(لغة) في كتاب سيبويه وهناك ميزة أخرى لسيبويه لا تقل أهمية؛ وهو شيء تجاهله ولم يهتم به علماء العربية المتأخرين، ألا وهو "اهتمامه الكبير بالاستعمال الحقيقي للغة والرصد لتصرفات الناطقين في التخاطب العفوي، ومن ثم لأوضاع اللغة"⁴، ويعني هذا أن سيبويه اهتم باللغة اهتماما كثيرا.

¹ خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، ط1، الكويت، 1974م، جماعة الكويت، ج1، ص 162 163.

² سيبويه، الكتاب، ج1، ص 34.

¹ المرجع نفسه، ص 272 273.

⁴ الجاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، الجزائر، 2007م، قسم اللسانيات العربية والمعجمات، ص115

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

1-2 اللغة للدلالة على الفصاحة:

واستعمل سيبويه لفظ ' اللغة ' على أنها ' الفصاحة ' " لا يطلق صفة الفصاحة إلا على الناطقين لا على كلامهم فكلما ثبت عنده أن ما سمعه من الكلام من العرب هو حقيقة عربي، فإنه يكتفي بوصفه كذلك إلا أنه يعتمد في ذلك على المقياس وهو كثرة العرب الفصحاء الذين يستعملون هذا الذي سمعه "1 ونفهم من هذا أن اللغة عند سيبويه ربطها بالفصاحة، وأنها لفظ ووضع ونظام وما سمعه من كلام العرب الفصحاء.

ولكن الغالب على استعمال مصطلح ' لغة ' في كتاب سيبويه " أنها شكل من أشكال انجاز جماعة بشرية، أي الإمكانيات التعبيرية التي تستعملها العرب في التواصل، اصطلاح صاحب الكتاب على ذلك ب " اللغة "2، ونفهم من هذا أن سيبويه استخدم كلمة أو مصطلح لغة على أنها تعبير، يستعمله العرب في التواصل مع بعضهم البعض، ومن ذلك قوله " في حيّ في هذا المكان ، وقد عيّى بأمره، وإن شئت قلت: قد حيّ في هذا المكان وقد عيّى بأمره ، والإدغام والأخرى عربية كثيرة "3، فهنا وصفه بأنه عربيّ هو الكثير، أما الأكثر فلم يوصف بذلك، في حين أن الحكم ب (عربيّ) يعني الجودة أو القوة، أما بالنسبة لما أوضحه الخليل بن أحمد الفراهيدي أستاذ سيبويه حول مفهوم ' اللغة ' هو: " إن أصل اللغة محاكاة للطبيعة بمعنى أن أول أمرها بالمماثلة لأصوات المسموعات، ثم تطورت حتى تباعد بين مدلولاتها الحية والمعنوية مدوي الرياح وخرير الماء و شحیح الحمار ... ونحو ذلك ثم وُلِدَتْ اللغات عن ذلك فيما بعد "4، وهذا يعني أن اللغة ليست توقيف من الله

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، الجزائر، 2012م، ص 42.

² توفيق قريرة، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، ط1، تونس، 2003م، دار محمد علي للنشر، ص 213.

³ سيبويه، الكتاب، ج2، ص 395.

⁴ ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط2، مصر، 1955م، دار الكتب المصرية، ج1، ص 46/47.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

عز وجل وفق ما قال به الخليل، فهذه النظرية " تُبسّط من خلال مجهر الزمنية في البحث عن نقطة التولد في أصل النشأة"¹ ، وهذا لا يعني أن اللغة تتماثل لهذه النظرية في مبتدئها محاكاة لأصوات طبيعية.

2 الكلام عند سيبويه:

1-2 الكلم بدل الكلام والجملة:

قال سيبويه هذا باب علم ما الكلم من العربية " فالكلم اسم، وفعل، جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، فالاسم: رجلٌ و فرسٌ و(حائط) "²، سيبويه يقدم الاسم هنا بأنه (رجل، وفرس، وحائط)، فهو في الحقيقة لم يعرف به، وإنما مثّل له بأمثلة تُشير إلى الإنسان والحيوان والجماد.

وحاول النحاة بعده حدّه بحد جامع مانع فكثرت الحدود الموضوعية له حتى نقل ابن السراج(316هـ) أن " الاسم ما دل على معنى مفرد، وذلك المعنى يكون شخصا وغير شخص "³، وهذا يعني أن ابن السراج لم يفرق بين الاسم(المعنى) والفعل، فمثلا يكون شخصا كرجل وفرس وحجر وبلد، وغير شخص كالأكل والعلم وغيره.

2-2 عناصر الكلم عند سيبويه:

ويستخدم سيبويه مصطلح الكلم بدل الجملة، والكلام عنده هو الجملة المفيدة التي يحسن السكوت عندها يقول " ألا ترى أنك لو قلت فيها عبد الله حسن السكوت، وكان مستقيما، كما حسن واستغنى في قولك: هذا

¹ المسدّي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط1، تونس، 1998م، الدار العربية للكتاب، ص 79.

² سيبويه، الكتاب، ج1، ص 12

³ ابن سراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين العقلي، ط3، بيروت، 1996م، مؤسسة الرسالة، ج1، ص36.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

عبد الله يعني أن مصطلح الكلام شائع في كتب اللغة والبلاغة وغيرها، إذ إنه يُشكل جانبا مهما من طابع حسن الكلام وبلاغته. قال سيبويه "واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء"¹ ، بمعنى أن مصطلح الكلام يحمل أكثر من دلالة عند سيبويه فقد يستعمله بمعنى الألفاظ المفردة كالأسماء والأفعال، وأن الأسماء هي الأول وأشدُّ تمكنا. ومنه قول السيرافي: (368هـ): "وأما الاسم فإن سيبويه لم يحده بحد ينفصل به عن غيره، ويمتاز من الفعل والحرف، وذكر منه مثلا اكتفى به عن غيره فقال "الاسم رجل وفرس"² ، وهذا لا يعني أن سيبويه لم يُحدّد الاسم والفعل، واكتفى فقط بإعطاء أمثلة.

وقد عرف سيبويه الفعل أنه "أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع"³، وهذا يعني أن سيبويه يعرف الفعل بأنه أبنية وصيغ وأوزان، أي أن الفعل مشتق من المصدر، وأما بناء لما مضى فذهب وسمع ومُجّد، وأما بناء ما لم يقع مثلا قولك: اذهب، واقتل، واضرب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت. وحد بعض النحاة الفعل بحدود أخرى يظهر في كثير منها التركيز على معنى دلالة الكلمة على الحدث والزمان، من ذلك قول ابن السراج "الفعل ما دل معنى وزمان"⁴، وهذا يعني أن الفعل عند سيبويه يدل على معنى في كل زمان وهذا الزمان إما أن يكون الماضي أو المضارع أو الحاضر (المستقبل).

¹ سيبويه، الكتاب، ج1، ص20

² السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن وعلي سيد علي، ط1، بيروت لبنان 1429م، دار الكتب العلمية، ج1، ص14.

³ سيبويه، الكتاب، ج1، ص12

⁴ ابن السراج، الأصول في النحو، ج1، ص36.

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

وقال سيبويه في الحرف حين عدّ أقسام الكلم ومثّل له " ثم وسوف وواو القسم، ولام الإضافة ونحوها " ¹ بمعنى أن كلام سيبويه عن الحرف يصعب أن يقال عنه حداً، وأنه يعني حروف المعاني لا حروف المباني وبالإضافة إلى كلام سيبويه عن الحرف الإيجاب في كون الحرف جاء لمعنى، والسلب في كون هذا الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل.

ويظهر أن سيبويه ومن تبعه من النحاة، أنهم لم يعتمدوا على معيار واحد في تعريف القسم الذي تصنف الكلمة تحته، كما لم يشترط بعض النحاة أمثال ابن السراج الذين تبعوا سيبويه، انطباق كل العلامات الخاصة بقسم من أقسام الكلم، وهو ما يفهم من قول ابن سراج بعد أن ذكر عدداً من علامات الأسماء " إلا أن هذه الأشياء ليس يعرف بها كل اسم ، إنما يعرف بها الأكثر " ² ، أي أن هناك كلمات لا تنطبق عليها العلامات التي ذكرها، ولكن هذا لا يخرجها من قسم الأسماء لأنه لا يشترط انطباق كل علامات الأسماء على كل كلمة تدخل تحت الاسم ، والذي يتألف منه الكلام " الاسم و الفعل والحرف، فالاسم قد يتألف مع الاسم نحو قولك " الله إلهنا " ، ويتألف الاسم والفعل نحو : قام عمرو، ولا يتألف الفعل مع الفعل، والحرف مع الحرف، فقد تبين فروق ما بينهما " ³.

¹ سيبويه، الكتاب، ج1، ص 12.

² ابن سراج، الأصول في النحو، ج1، ص38.

³ المرجع نفسه، ص 41.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

3- أقسام الكلام عند سيبويه:

يعد باب (الاستقامة من الكلام والإحالة) في الكتاب لسيبويه، من الإرهاصات المبكرة لنشأة علم البلاغة عامة وعلم المعاني خاصة " ويعرف أنه كان حاذقا في التمهيد لكتابه بمباحث تعد الأساس في البحث النحوي، وذلك بالانتقال من موضوعات التركيب إلى بيان مواقع أجزاء الجملة وعلاقتها ببعضها البعض"¹، بمعنى أن فهم كلام سيبويه جعلوه هاديا لهم لوضع أسس علم ظل إشارات متناثرة في كتب الأوائل، وعلى رأس هؤلاء نجد أبا هلال العسكري، وعبد القاهر الجرجاني

وفي باب الاستقامة والإحالة نجد فيه " تناولا مهما لقضية العلاقة بين صحة التركيب نحويا، ومدى استقامته لأداء المعنى"²، بمعنى إشارة موجزة من إمام النحاة تدعم فكرة اهتمام النحو العربي بالظواهر الدلالية. يقول سيبويه " هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة: فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسأتيك غدا، وأما المحال، فإن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك أمس، وسأتيك غدا، وأما المحال فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشريت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيد رأيت... الخ"³، هذه العبارات تلخص مفاهيم كثيرة، وذلك لأن سيبويه أعطى أمثلة واضحة في الكلام، وفق قواعده وأصوله لذا جاء مستقيما حسنا وبعضها الآخر وضع

¹ حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ط1، عمان الأردن، 2006م، دار صفاء للنشر والتوزيع، ص 318.

² محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، د ط، القاهرة، 1997م، دار قباء، ص 108.

³ سيبويه، الكتاب، ج1، ص 25.

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

اللفظ فيه غير موضعه وهو المستقيم القبيح، وقد أخذ الحاج صالح "مفهوم الاستقامة من التراث النحوي العربي بالتحديد من فكر (سيبويه) الذي ميز (الخليل) بين السلامة الرجعة إلى اللفظ، وبين السلامة الرجعة إلى المعنى بقوله في أول كتابه " وهذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة"¹، يفهم من هذا الكلام أن الاستقامة هنا تعني صحة وسلامة الكلام ، وترجع إلى سلامة في اللفظ والتركيب وسلامة في المعنى المراد نقله .

قسم سيبويه الكلام إلى قسمين كبيرين وهما: الكلام المستقيم والقسم الآخر المحال، ولم يُعرّف من هذه الأنواع كما هو بيّن، واعتمد على الأمثلة في تحديد ما يريده بالمصطلحات الأخرى، ونوضح ما يلي:

3-1 الكلام المستقيم:

ويُراد به كما قال السيرافي: "الذي لم يكن في لفظه خلل من جهة اللغة والنحو، وأيضا الذي يكون جائزا ففي كلام العرب دون أن يكون مختارا"²، وهذا الكلام المستقيم الحسن يكون مستقيما من الناحية النحوية وحسنا من الناحية الدلالية، وهو المختار من كلام العرب، ويتحدد مفهوم المستقيم بتحقيق أمور ثلاثة فيه " اكتمال عناصر تركيب ما تحقق المعنى المعجمي لكل عنصر وتوافق العلاقة بين العناصر والمعاني"³، هذا يعني أن كلمة مستقيم لا تتحقق إلا بوجود توافق وتحقق بالعناصر، وهذا راجع إلى وجود علاقة بين العنصرين. وأما صفات الكلام المستقيم عند سيبويه فهي ثلاث: إما أن يكون حسنا أو كذبا أو قبيحا وللتوضيح نمثل ما يلي:

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيم الأساسية، ص 30.

² السيرافي، شرح الكتاب، تح: رمضان عبد التواب، القاهرة، 1986م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2، ص 89_90

³ سعيد حسن بحيري، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، ط1، مصر، 1989م، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 156.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

أ-المستقيم الحسن:

وهو قولك أتيتك أمس وسأتيك غدا، وهذا يفهم من كلام أبي سعيد السيرافي عند تعريفه للمستقيم بقوله " وأيضا الذي يكون جائزا في كلام العرب دون أن يكون مختارا"¹، أي أنه فُيد بالحسن، ومن خلال المثال نفهم أنه مستقيم على صواب، وهو المختار من كلام العرب.

وهنا يمكن القول إن ما " مثل به سيبويه للمستقيم الحسن، يدل على دقة النحاة في تقصي المعاني في الجملة وعلاقتها بغيرها وانسجامها معها وترابطها"²، بمعنى أن المثال الذي قدمه سيبويه للمستقيم الحسن، يدل على الترابط والانسجام بين معاني الجمل وغيره، مثلا كلمة (أتيتك) جملة فيها فعل ماضي مسند إلى فاعل وتاء الفاعل (ت) والمفعول به (الكاف) هي تامة لها معنى مفيد يحسن السكوت عليها.

ب-المستقيم الكذب:

كقولك حملت الجبل، وشربت ماء البحر... ويقول السيرافي " والكذب إنما هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به"³، ويفهم من هذا أن المستقيم الكذب على عكس المستقيم الحسن أي الكذب تكون جملا غير تامة (غير منطقية) المعنى، فالمثال الذي أعطى سيبويه أنه لا يمكن حمل الجبل، ولا يمكن شرب ماء البحر لأنه أمر مستحيل. وقال العسكري (395هـ) وأما قولك: " حملت الجبل وأشباهه فكذب وليس بمحال، إن جاز أن يزيد

¹ السيرافي، شرح الكتاب، ج2، ص90.

² حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص319.

³ السيرافي، شرح الكتاب، ج2، ص93.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

الله في قدرتك فتحمله"¹، وهذا النوع من الكلام تتحقق في اللفظ دون المعنى، فالعبارات التي توصف بالكذب هو المعنى الدلالي لا المعنى النحوي.

ج-المستقيم القبيح:

نحو قولك " قد زيداً رأيت " وغيره، ما وجه استقامته فهو عدم اشتماله على اللحن (جاء الفاعل موضوعاً والمفعول به منصوباً) ووجه قبحه إنما هو وضع اللفظ في غير موضعه، قال العسكري " وإنما قبح لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير"²، وهذا يعني أن الألفاظ أو الكلمات تُوضع في مكان غير مكانه الصحيح؛ كالمثال الذي ورد به سيويه عندما قال ' قد زيد رأيت ' والصحيح أن يقول ' قد رأيت زيدا '. فالوصف الأول ' مستقيم ' يعني " صحة وقوع الشروط الثلاثة المحددة للصحة النحوية، إلا أن الوصف الثاني ' قبيح ' يعني وقوع خلل في ترتيب عناصر الجملة، مما يقتضي إلى نشوء تركيب غير مسموح به في نظام الجملة"³، ويمكن أن نتصور ذلك على النحو التالي: " من جهة الدلالة : مستقيم حسن ≠ مستقيم كذب ، ومن جهة التركيب " مستقيم حسن = مستقيم قبيح ، ومن جهة الدلالة والتركيب مستقيم حسن ≠ محال كذب"⁴، ونفهم من هذا أن سيويه ربط بين قواعد التركيب والدلالة ، فالمستقيم الحسن عكس الكذب وهذا من جهة الدلالة، ومن جهة أخرى أن تجتمع كلمتين شريطة أن تكون بينها تناسب ومعنى مثل مستقيم حسن يساوي مستقيم قبيح.

¹ أبو هلال العسكري، الصناعتين . تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، بيروت، 1419هـ، المكتبة العصرية، ص 70.

² المرجع نفسه، ص 70.

³ بحيري، عناصر النظرية النحوية، في كتاب سيويه، ص 158.

⁴ المرجع نفسه، ص 159.

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

- الكلام المحال:

وهو كما عرّفه سيبويه " أن تنقض أول كلامك بآخره فتقول " أتيتك غدا وسأتيك أمس " ¹، وهنا وضع سيبويه الكلام المحال عدم وجوده (مستحيل)، أي لا يمكن للشخص أن يقول أتيتك غدا وسأتي أمس.

ويوضح السيرافي معنى الكلام المحال فيقول " أي أنه أحيل عن وجهة المستقيم الذي به يفهم المعنى، إذا تكلم به " ²، بمعنى أن المحال ما أحيل عن حقه حتى لا يصح وجوده ويعلم بطلانه استدلالاً وظاهره مستقيم اللفظ، ومن خلال المثال يتضح لنا أنه كلام موجود على ما فيه من الفساد والخلل، والمحال لا يوجد، فهو الكلام الذي " يبدو تركيبه النحوي سليماً... ولكن هذا التابع الصحيح نحويًا قد لا يحمل أي معنى على الإطلاق لأن كلماته متناقضة دلاليًا، ونفهم من هذا التعريف أن المحال هو الكلام الذي يمكن أن يستقيم في القياس والاستعمال، غير أن فساده راجع إلى المعنى المتضمن فيه. ويضيف السيرافي كلاماً عن المحال ويقول فيه " وقد يكون كذباً وغير كذب، غير أن ما يجمع ذلك كله تناقض اللفظ فيه " ³، وهذا يعني أن المحال، هو اللفظ الذي يكون إما كذب وإما غير كذب، وهذا راجع إلى أن المحال كله تعارض واختلاف المعنى.

ثانياً: اللّغة والكلام عند ابن جني (ت 392هـ)

لقد تعرض ابن جني (392هـ) في كتابه ' الخصائص ' إلى الكثير من المسائل المتعلقة باللغة العربية، ومن بينها ' اللغة ' و ' الكلام ' فعرّفهما وتعرض لوضعهما وتطورهما، وقد ميز بينهما ومن ذلك ما يأتي:

¹ سيبويه، الكتاب، ج1، ص 25.

² السيرافي، شرح الكتاب، ج2، ص 90.

³ السيرافي، شرح الكتاب، ج2، ص 94.

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

1-حدّ اللّغة عند ابن جني:

ذهب ابن جني في تعريفه لمصطلح اللّغة إلى أن " أصله عربي من لغا بمعنى تكلّم، ثم ذكر تعريف (لغة) فإن وزنها (فعللة) من لَعَوْتُ أَي تَكَلَّمْتُ وأصلها (لَعَوَةٌ) وتصريفها كتصريف كُرَّةٍ وَقَلَّةٍ وَثَبَّةٍ، ولكنها صيغت من مقلوب الأصل، ومثّل لذلك بِثَبَّةٍ التي هي من مقلوب ثَابَ يَثُوبُ " ¹ فقد بدأ ابن جني حديثه عن اللغة بالمعنى المعجمي من الفعل لغا، وحدد ميزانها الصرفي والتغير الذي حدث على مستواها.

وقد عرّف المصطلح بذكر كلمة الحد، والحقيقة أن كلمة الحد مستعملة كثيرا عند الفلاسفة والمناطقة، قال في باب (القول على اللغة وما هي) " أما حدُّها فإنها أصوات يعبر كل قوم عن أغراضهم " ²، وهذا التعريف يعني أن اللّغة أصوات، تعبير، وأنها تصدر عن الناس لتلبية حاجاتهم، وهذا يُعبر عن اجتماعية اللّغة.

لقد نال تعريف ابن جني للغة شهرة، ومكانة واسعة في كتب اللغة الحديثة، ويرى تمام حسان في تعريف ابن جني أنه " ركز على الجانب الصوتي ولم يُشير إلى أن اللغة عبارة عن منظومة رمزية من الأصوات ما يعجل تعريفه أقرب إلى تعريف الكلام منه إلى اللغة " ³، بمعنى ذلك اعتبار أن اللغة أصوات لم يشهد إلا في العصر الحديث ، والجدير بالذكر هو إخراج ابن جني " الكتابة وقصر اللغة على الأصوات.

¹ ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج1، ص 33.

² المرجع نفسه، ج1، ص 33.

³ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، د ط، القاهرة 1955م، مكتبة الأنجلو مصرية، ص 56.

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

كما أن مصطلح ' لغة ' شاع وانتشر فيما بعد، وطغى استعمال اللفظ فاستخدمه اللغويون العرب للدلالة على اختلاف اللهجات العربية « هو باب اختلاف اللهجات وكلها حجة "1، ويقصد هنا أن اللغات على اختلافها وكلها حجة (دليل)، وهناك جانب آخر الذي تضمنه تعريف ابن جني للغة فهو الذي يشير إلى وظيفة اللغة يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، بحيث تختلف اتجاهات اللغويين بين كلمتين يطلقونهما على وظيفة اللغة، وهما 'التوصيل والتعبير' هي أن اللغة هي التوصيل داخل المجتمع، وأن اللغة هي أهم وسيلة من وسائل الاتصال داخل أفراد المجتمع.

ويرى عبده الراجحي أن ابن جني كان على صواب عندما وصف اللغة إنها " تعبير عن الأغراض بدلا من النظرة التقليدية بأنها تعبير عن الأفكار "2، أي أن استعمال اللغة يتعدى الأفكار إلى استعمالها بمفهومها الدقيق كالصلاة الدعاء والتحية، وكلمة الأغراض يفهم منها ' التفكير ' لأنها أكثر اتساعا وشمولا، ونفهم أيضا أن اللغة ليست مجرد أصوات إنسانية وليست مجرد تعبير عن أي شيء، وإنما أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

قال ابن جني في كتابه ' الخصائص ' " واعلم أن العرب تختلف في تلقي الواحد منها للغة غيره ، فمنهم من يسرع قبول وما يسمعه، ومنهم من يعتصم فيقين على لغته، ومنهم إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به ، ووجدت في كلامه، ألا ترى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل : يا نبي الله فقال: لست بنبي ولكني نبي الله ، وذلك أن عليه الصلاة والسلام أنكر الهمز في اسمه فردّه على قائله "3 وهذا يعني أن الإنسان لا يتكلم بمجرد امتلاكه لجهاز النطق، ولكنه يكتسب اللغة من المجتمع ، وعلى سبيل المثال : طفل

¹ ابن جني، الخصائص، ج2، ص10، 12.

² عبده الراجحي، فقه اللغة في كتب اللغة، د ط، بيروت، دار النهضة العربية، ص74.

³ ابن جني، الخصائص، ج2، ص 10، 12

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

جزائري وضعناه منذ الولادة في الصين، أو في فرنسا أو غيره، دون أن يكون في الوسط الاجتماعي الذي يتحدث فيه أهل العربية، لأن هذا الطفل سيتكلم اللغة الصينية، أو الفرنسية، أو غيرها.

1-2 أصل اللغة عند ابن جني:

إن موضوع اللغة يشكل موضوع الإنسان، وقد انقسم الباحثون في نشأة اللغة، في نظر البعض إلى قسمين " قسم قائل بالضرورة و بالطبيعة ويتزعمه ابن جن في كتابه 'الصاحبي في فقه اللغة' وأما القسم الثاني فهم الذين ذهبوا إلى أن أصل اللغة هو تواضع واتفاق، وهنا تبرر جهود عاملنا الجليل ابن جني في كتابه 'الخصائص' الذي اخذ منحى جديدا في هذه الدراسة"¹، يعني أن ابن فارس في كتابه قال من الضرورة أن تكون أصل اللغة مواضعة، ثم سيستأنف كلامه في قوله: "إلا أنا أبا علي رحمه الله قال لي يوما هي من عند الله، واحتج بقوله ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: 31] وهذا لا يتناول موضوع خلاف، وذلك أنه يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله"². وقد عرض موقف اللغويين القدامى من نشأة اللغة وقدم أدلة عن كل مذهب وسوف نعرضها كما عمد هو على عرضها.

رأى ابن جني أن اللغة توقيف من الله، فقال عن أصحاب مذهب التوقيف مضيفا لهم تفسيراً آخر هو أن الله سبحانه وتعالى علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية الفارسية. وغير ذلك من الأمم، وعن ذلك يقول ابن جني: " وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله

¹ الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، ط1، بيروت، 2005م، دار الطليعة، ص 36.

² - ابن جني، الخصائص، ج1

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

سبحانه لا محالة" وهنا يحاور ابن جني الذين يرفضون أن تكون اللغة وحيا من الله ويناقشهم في دليلهم، ويقول إن الله قادر على كل شيء.

ومن جهة أخرى ذكر أن اللغة تواضع واصطلاح، وقد شدّ عن رأي غالب علماء اللغة في عصره، ففسر الآية المذكورة سابقا، على خلاف أصحاب مذهب التوقيف على أن الله أعطى آدم القدرة على اصطلاح أسماء الأشياء أي " أن الإنسان قد ركبت فيه استعدادات فطرية وقواعد ذهنية بها يستطيع أن يسمى الأشياء الجديدة، يعني أن ابن جني دعا إلى أن اللغة تواضع واصطلاح، وأن الإنسان له فطرة ذهنية وبها يستطيع أن يكتسب في ذهنه جميع المعلومات التي يريدتها.

وأشار ابن جني في القول باصطلاح اللغة " وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى الإبانة وتوضيح الأشياء فيصيغوا لكل واحدة منها سمة أو لفظا ن إذ عُرفَ به ما سماه ليمتاز عن غيره فيكون ذلك أقرب وأسهل من تكلف الحضارة"¹، وهذا يعني بهذه القدرة التي وهبها الله للإنسان تمت المواضعة على أسماء للأشياء ليكون لغة للتفاهم والتعبير فيما بينهم عن أغراضهم، وتسهيل التواصل مع بعضهم البعض.

وبالمقابل فإن هذا الرأي لقي اعتراضا في القول إن " أصل اللغة مواضعة واصطلاح نقد كان مفاده أن التواصل في حد ذاته يحتاج إلى لغة للتفاهم، أي إن التواصل نفسه يتوقف على لغة صوتية يتفاهم بها الواضعون فما يجعله

¹ مرجع سابق ، ج1، ص 45.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

أصحاب النظرية منشأ للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل "1، يعني أن هذا التواضع من لدن جماعة من الحكماء ينبغي أن يكون هناك لغة من أجل التفاهم والاتفاق بين أفراد المجتمع.

2 _ الكلام عند ابن جني:

2_1 الكلام هو الجملة عند ابن جني:

لقد عرّف ابن جني الكلام في (باب القول على الفصل بين الكلام و القول) فحدّد شروطه وأقسامه، وأخذ ابن جني في تعريف الكلام كل تقليب على حدة، ثم اتبع ذلك بمعالجة الأصل (ك ل م)، و يرى "أنها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة و الشّدة، و المستعمل منها أصول أربعة و هي:(ك ل م، ك م ل، ل ك م، م ل ك)"².
وأما الكلام "فلكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، وأما القول فأصله أنه كل لفظ مذل به اللسان تاما كان أو ناقصا، فكل كلاما قول وليس كل قول كلاما"³، ومعناه أن الكلام وضع على الاستقلال والاستغناء عما سواه، وأنه كلاما لديه فائدة يحسن السكوت عليه، وأما القول يمكن أن تكون أصواتا غير مفيدة. وينقل عن سيبويه في كتابه "الكتاب" بقوله: "واعلم أن قلت إنما وقعت في كلام العرب على أن يحكى بها، وإنما تحكى بعد القول ما كان كلاما لا قولاً؛ نحو: قلت: زيد منطلق لأنه يحسن أن تقول: زيد منطلق ولا تدخل كلمة قلت"⁴، ونفهم من هذا القول لسببويه أن الكلام عنده ما كان من الألفاظ مستقلا بمعناه، وأن الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها المستغنية عن غيرها.

¹ عبد الغفار محمد هلال، عبقرى اللغويين، أبو الفتح عثمان ابن جني، ط1، القاهرة، 2006م، دار الفكر العربي، ج1، ص 299.

² ابن جني، الخصائص، ج1، ص05.

³ المرجع نفسه، ص 17 / 18

⁴ سيبويه، الكتاب، ج1، ص122.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

وخلص ابن جني من بيان الفصل بين مصطلحي الكلام والقول، إلى أن "الكلام إنما هو لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل الصناعة الجمل على اختلاف تراكيبها و أن القول أوسع من الكلام تصرفاً، وأنه قد يقع على الجزء الواحد وعلى الجملة، وعلى ما هو اعتقاد ورأي لا لفظ وجرس"¹، وفي ضوء من هذا البيان تتجلى أهمية دعوة أحمد كشك إلى نحو الكلام لا نحو اللغة، فالكلام: "تحقيق فعلي حي لتلك الصورة المختزنة في ذهن الجماعة، وهذا الكلام أوسع من مجال اللغة، ويبدو الكلام أمراً مُركباً يحتاج على الأقل إلى متكلم ودلالات تكون مقصودة، بمعنى آخر: هو مسرح وإيقاع حياة"²، نفهم من هذا القول أن الكلام نشاط إنساني، يقوم به أفراد المجتمع باختزانه في ذهنهم للكشف عن أفكار ثقافية ونفسية وحضارية، وهو أوسع وأشمل من اللغة، ونفهم أيضاً أن الكلام لا يمكن الوقوف بها زماناً ومكاناً.

-_2 أقسام الكلام عند ابن جني:

ويقسم ابن جني الكلام من حيث الاستعمال إلى مطرد وشاذ " هذا باب معرفة ما كان شاذاً في كلامهم ، اعلم أن الشاذ في العربية على ثلاثة أضرب: شاذ في القياس ومطرد في الاستعمال، مطرد في القياس والاستعمال معاً، شاذ في القياس والاستعمال معاً"³.

¹ ابن جني، الخصائص، ج1، ص 32.

² أحمد كشك، اللغة والكلام، القاهرة، 1955م، مكتبة النهضة المصرية، ص 10.

³ ابن جني، الخصائص، ج1، ص 31.

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

ما ورد شاذ في القياس ومطرّد في الاستعمال قولهم الحوكة والخونة فهذا من الشذوذ عن القياس وهو في الاستعمال غير مستحب ولا تقول: في جمع قائم: قومه ولا صائم صومه ولو جاء على فعلة ما كان إلا معلا وقالوا على القياس خانة¹ ومطرّد في القياس والاستعمال معا: هذا هو الغاية المطلوبة والمثابة المثوبة، وذلك نحو: قائم زيد، وضربتُ عُمرًا، ومَرَّرتُ وهذا يعني: رفع الفاعل، ونصب المفعول، وجر المجرور.

أما ما شذ في الاستعمال و القياس معا "كتتميم مفعول فيما عينه واو، نحو : ثوب مصوون، ومسك مدووف"²

¹ المرجع نفسه، ج1، ص 124.

² - ابن جني، خصائص، ج1، ص98

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

ثالثا: اللغة عند ابن سنان الخفاجي: (466هـ)

1 مفهوما:

اللغة عند ابن سنان عبارة " عما يتواضع القوم عليه من الكلام، أو يكون توقيفا: يقال في لغة العرب: أن السيف القاطع حسام، أي تواضعوا على أن سموه هذا الاسم"¹، ونفهم من هذا التعريف إشارته إلى الجانب الاجتماعي فيها، والدلالة التي تقتضيها صيغة المواضعة.

1_1 أصلها:

والصحيح أن أصل اللغات مواضعة وليس بتوقيف لأن " توقيفه يفتقر إلى الاضطرار إلى قصده أنه إن أحدث كلاما لم يعم، ولو اقترن بهذا الكلام أشار إلى مسمى دون غيره"²، نفهم من هذا أن ابن سنان يُعد من الذين أعطوا مصطلح المواضعة كمقابل للاستعمال الكلامي.

إن محاولة استقرار اللغة عند ابن سنان من منظور المواضعة " أمر يسمح بالكشف عن سبل الاستعمال اللغوي المتاحة للمتكلم، فالمواضعة تقف وراء كل وجود لغوي، لأن الغرض من وضعها هو الإفادة ونقل الأفكار"³، وهذا يعني أن المواضعة عند ابن سنان تفصح عن جدليات واقعة في الدرس اللغوي، وأن اللغة مواضعة على النحو الذي وصفها به بعض العلماء.

¹ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح: علي فوده، ط1، مصر، 1936م، مكتبة الخانجي، ص 43.

² المرجع نفسه، ص 44.

³ بولعراوي مختار، جدلية اللفظ والمعنى في التراث النقدي العربي، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 80.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

ولا يجوز فيما يخص أصل اللغات " أن يكون توقيفا لتقدم لغة عن التوقيف ويفهم بها المقصود "1، قد حمل أهل العلم قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 3]، وهذا يعني أن لغة المواضعة، تقدمت بين آدم عليه السلام وبين الملائكة على لغة سالفه وعلمه الأسماء ولولا تقدم لغة لم يفهم عنه شيء. ولكننا مع ذلك لا نراه معارضا كونها قبل ذلك توقيفا " وهذا راجع لاضطراب الآراء التي قيلت قبله خاصة ما أورده ابن جني الذي تأرجحت أفكاره بين الرأيين "2، ولذلك جعل ابن سنان الخفاجي قصد اللغة على مبدأ المواضعة دون التوقيف إلى الاضطرار إلى قصده لأنه إن أحدث كلاما لم يعلم أنه قد أراد بعض المسميات دون بعض، ولأن، لا نعلم توجه الكلام من بعض بالأضرار إلى قصده "3، وهذا يعني أن ابن سنان جعل اللغة توقيف من الله، وقصد بالاضطرار وتوجه إلى بعض الإشارات التي تحدث كلاما دون بعض .

لقد تأرجح رأي ابن سنان بين النظرتين، ولكنه قطع اليقين بأن أصل اللغة مواضعة، وهو أمر معروف عند ابن جني أيضا، حيث يقول ابن سنان " و الصحيح أصلا للغات مواضعة و ليس توقيفا "4، ويبدو أنه استفاد كثيرا من الآراء السابقة له خاصة ما جاء عند ابن جني في كونها مواضعة قبل الوحي والتوقيف فهو جدّد أصول المواضعة " ومما هو واضح أن اللغة لو أطلق لَوَاضِعِيهَا في اصطلاح الأشياء لوصلت إلى حال من الانفعالات بأن أي متكلم مهما كان في المجتمع سيضع ويصطلح، وإلا ضاعت اللغة واندثرت "5، يعني أن الأمر الذي جعل ابن جني ومن لحقه كابن سنان أن يصطلحوا في اختيار قانون المواضعة .

¹ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 44.

² ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 95، 96

³ ابن سنان، سر الفصاحة، ص 44.

⁴ المرجع نفسه، ص 4 4

⁵ تحسين عبد الرضا، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب، جامعة بغداد، ص 50.

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

وعلى الأرجح فإن انحراف ابن سنان عن البحث المتعلق بنشأة اللغة، والاكتفاء فقط بإيضاح رأيه ومذهبه "سواء أكان إلهاما وتوقيفا من عند الله، أم اصطلاحا من الإنسان بحسب اختلافهم، فإن الكلام في الحالتين حاجة اقتضاها وجود الإنسان لإقامة التبالغ غير المباشر مع الخالق أو مع أفراد نوعه، من أجل البيان عن المقاصد وتحقيق المنافع"¹ ، لذلك فإن اللغة عند ابن سنان عبارة عما يتواضع عليه القوم من الكلام.

2-الكلام عند ابن سنان الخفاجي:

2_1 التوجيه اللغوي للكلام:

بدأ ابن سنان "حديثه عن الكلام بتحديد جوانبه اللغوية (المعجمية) والنحوية والصرفية، فأضاف على ما ذكره عن الحديث في جوانبه النحوية القليل والكثير"² وهذا يعني أن ابن سنان ذكر ذلك ليفرق بين الكلام والجملة ، ويحدّد العام والخاص فيهما.

ولهذا قال سيبويه " هذا بابٌ علّم ما الكلم من العربية " ولم يقل ما الكلام لأنه قسمه إلى ثلاث أقسام " (الاسم، الفعل، والحرف، وترك ما يمكن أن يقع على الواحد والجماعة"³، ونفهم من هذا التعريف أن ابن سنان صرح وحاول التفريق بين المصطلحات الواردة في هذا الباب.

¹ رشيد مجاوي، التّبالغ والتبالية، نحو نظرية تواصلية في التراث، ص 46.

² ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 24، 25.

³ سيبويه، الكتاب ج1، ص12.

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

وناقش ابن سنان مسألة الكلام والتكليم في اللّغة وأشار إلى بعض آراء النحاة فيها، كقوله " وذكر السيرافي أنه مصدر والصحيح أنه اسم المصدر، والمصدر التكليم"¹، كقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: 164]، ثم بين التعليل في ذلك " ولعل أبا سعيد يسمح في إيراد ذلك وقاله مجازا ، فأما الكلم اسم جنس، ومذهب أهل النحو في الأسماء التي يكون فيها الاسم على صورتين : الأول بالتاء والأخرى بطرحها مثلا تمر و تمرّة ...، وعلى بعضهم جعل الكلم جمع كلمة"²، ومن هنا نلاحظ صحة ووصف ابن سنان هذه المسألة وحسن التعليل الذي اعتمده، وإن كان في الأمر علاقة بالجوانب النحوية فهذا دليلٌ اطلّاعه على الآراء المتداولة فيها في كل علم من علوم العربية.

وحديث ابن سنان هنا فيه ربط بين عدد الألفاظ والجملة الحاصلة من عملية الكلام، مع إشارته إلى إمكانية استعمال الاسم بدل المصدر، وجاء في شرح ابن يعيش " إن اسم الشيء قد يفيد أيضا ما يُفيده مسماه"³ فقد يحل المصدر مكان الاسم في بعض الجمل، التي تقتضي ذلك لكن يبقى المفهوم العام مشتركا، ثم أضاف على ذلك قائلا " ألا ترى أنك تقول : فعلت كذا وكذا، ولفظ (كذا) يحتمل أن يكون كثيرا ويحتمل أن يكون قليلا وبابه القلة، فإذا كان الأمر على هذا، وكان الكلام جاريا على لفظ فعل للمبالغة، وجب أن يُراد به التكثر"⁴، وهذا يعني أن الفعل المستعمل من هذا اللفظ لا يكون على وجهين، إذا أريد التقليل كان خفيفا وإذا أريد التكثر ثقل.

¹ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 24

² المرجع نفسه، ص 25.

³ ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنبرية، ج1

⁴ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 28.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

وفي سياق التوجيه اللغوي لمصطلحي (الكلام ، والتكلم) يقول: " فان الفعل المستعمل من هذا اللفظ لا يكون على وجهين: إذا أريد التقليل كان خفيفا، وإذا أريد التكثير ثقل، نحو ذلك في ضرب وضرب، قيل: أليس قد تقرر أن لفظ فَعَلَ للتكثير والتكرير، يجب أن تُوفي حقا لفظها حتى صارت عندهم لفظة لا تستعمل إلا للمبالغة، من حيث أن الكلام أجل ما يوصف به الإنسان"¹ ، فقول الخفاجي هنا يحمل أبعادا تتوجه إلى المخاطب وقصد الكلام ، وتتعلق بمرتبة الفعل الكلامي وسياقه العام، وبذلك يكون التوجيه للفعل الخطابي خاصة بالصياغة التي يختارها الخطاب ووفق المعاني المتضمنة.

ولعل انسب ما يذكره في مقام التفرقة بين المصطلحين، عند أصحاب الكلام ذلك الذي نجده عند العسكري، حيث قال: الفرق بين الكلام والتكليم، أن التكليم: تعليق الكلام بالمخاطب فهو أخص من الكلام وذلك أنه ليس كل كلام خطابا للغير، وأما الكلام إذا جعلته في موضع المصدر فلا فرق بينه وبين التكليم ، وذلك في قولك: (كَلَّمْتُهُ كلامًا)، كَلَّمْتُهُ تكليما سواء"²، هنا العسكري إشارات وتوجيهاته موجهة لبيان المعاني اللغوية لمصطلح الكلام ، ولكنها أنبأت في ثناياها عن بعض وجوه الفرق اللغوي بين الكلام والتكليم وبين الكلام والجملة .

وما استعاره ابن سنان هنا اهتمام العرب بالاستعمالات الخاصة به وسياقاته المتنوعة، وذلك قوله " ويكشف هذا المعنى أن العرب لشرف الكلام عندهم، إن القليل المفيد عندهم كثير، يقولون: وقال فلان في كلمته: أما يريدون

¹ المرجع السابق، ص28.

² أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، د ط، القاهرة، 1997م، دار العلوم والثقافة، ص 35.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

القصيدة¹، بمعنى أن جميع الأوصاف التي يذكرها ابن سنان لا تتعلق بالصيغ الصرفية التي يختارها المتكلم، بقدر ما تتعلق بالمعاني النفسية التي على المخاطب الوقوف عليها.

ويبدو أن الخفاجي " قد كان مبالغاً في جعل فعل التكليم مقترناً بالمبالغة والكثرة في القول والفعل ، وهذا غير صحيح وأن كان صواباً اعتبار خفة وثقل الفعل ذات علاقة بالمعنى"²، وبعد حديث ابن سنان عن الجانب المعجمي والنحوي لمصطلح الكلام، انتقل إلى ذكر حدة فقال " والكلام ما انتظم من الحروف التي ذكرناها أو غير من اللغات، وحدّه ما انتظم من حرفين من الحروف ، إذ وقع ممن تصح منه أو من قبيلة للإفادة"³ ، وهذا يعني أن ابن سنان حرص على الإلمام فيه بعدة جوانب، ويمكن تحليل هذا القول على النحو الآتي :

2 _ 1 _ أ-الكلام بوصفه حروفاً عربية:

أشار ابن سنان إلى العلاقة بين العناصر الثلاثة المتمثلة في (الأصوات، الحروف، والكلام)، حيث ذكر " الحروف في الكلام العرب يُراد به حدٍ لشيءٍ وحدّته، وسميت بذلك لأنها جهات للكلام ونواح كحروف الشيء وجهاته " وهذا يعني أن مصطلح الكلام يجب أن تتوفر فيه شروط تجعل الإفادة شرطاً في الكلام.

¹ المرجع السابق، ص 30.

² ينظر: معن توفيق دحام، التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة.

³ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 25.

الفصل الأول : اللغة والكلام في التراث العربي

وهو بذلك يضيف -زيادة على الانتظام - شرط الإفادة وإن كان أهل اللغة قد أجمعوا على أن ما جمع بين التلفظ والإفادة استنادا الى قول ابن مالك الأندلسي " فالكلام في اصطلاح النحويين عبارة عما اجتمع فيه أمران اللفظ والإفادة"¹

واستدل ابن سنان على ذلك بقوله " وما اشترطنا وقوع ذلك ممن يصح منه أو من قبيل الإفادة يجب عليه أن يكون ما يستمع من بعض الطيور كالبيغاء وغيرها كلامًا، لأن ما يسمع من الجنون يوصف بأنه كلام، وإن لم تصح منه الفائدة وهو بحاله فتصح من قبيله، وليس كذلك"²، ومن تعريفه هذا نفهم أن الكلام لو ارتبط بالصوت فقط لاعتبر صوت البيغاء كلاما كما ذكر ابن سنان، ولكن الفائدة تكمن في تحقيق الفصاحة عنده.

وقد رفض ابن سنان لاحقا فكرة تقييد الكلام بالإفادة، وجعل شروطا بما حدّد أصحاب العربية، يقول " ولا يجوز أن يشترط في حد الكلام كونه مفسر (...)، وذلك وجدنا أهل اللغة قد قسموا الكلام إلى مهمل ومستعمل"³، فالعلة عند ابن سنان في تقسيمه للكلام إلى مفيد وغير مفيد واضحة، وهذا لا يطعن في قيمة الدرس النحوي والقواعد التي ارتضاها أهل العربية.

والمطلع على بعض كتب التراث يُلاحظ توجه ابن سنان، فقال العكبري في هذا السياق " وذهب شردمة من النحويين، إلى أن الكلام يطلق على المفيد وغير المفيد إطلاقا حقيقيا"⁴، وهذا يتنافى مع ما حدده النحاة من تخصيص الكلام المفيد.

¹ ينظر: ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية.

² ابن سنان، سر الفصاحة، ص 26 / 25.

³ المرجع نفسه، ص 27.

⁴ العكبري، مسائل خلافية في النحو، تح: عبد الفتاح سليم، ط3، القاهرة، 2007م، مكتبة الآداب، ص 42.

الفصل الأول : اللّغة والكلام في التراث العربي

وخلاصة القول؛ فإن علماء العربية المتقدمين، الذين تم ذكرهم قد أحاطوا باللّغة والكلام، وجعلوا فرقا بينهما منهم من ذكر بأن اللّغة أصوات يُعبر بها الفرد عن رغباته، ومنهم من يرى أنها وضع، في حين أن الكلام استعمال والبعض الآخر اعتبروها مواضعة واصطلاح.

المبحث الثاني

اللغة والكلام عند علماء العربية المتأخرين

الفصل الأول: اللغة و الكلام في التراث العربي

كانت الحاجة ماسة إلى تجديد الفكر اللغوي العربي القيم ، فبرغم من تلك الأبحاث اللغوية العربية التي خلفها اللغويون القدامى المتقدمون، إلا أن هناك من العلماء المتأخرين الذين أفردوا فصولا للحديث عن اللغة والكلام ، أمثال : ابن خلدون ، السيوطي ... وغيرهم، والذين عبروا ببراعة عن التفكير اللغوي. ففي هذا المبحث سنتعرف عن نظرة هؤلاء العلماء تعاريفهم للغة والكلام.

1-اللغة عند ابن خلدون (ت 808هـ):

1_1- اللغة فعل لساني:

اهتم ابن خلدون باللغة لأنها الوسيلة التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات، ولأنها الرابط الذي يجمع بين أفراد المجتمع الواحد، ويُعرّف اللغة في مقدمته " اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشيء عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة في عضو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها"¹، وهذا يعني أن اللغة حسب ابن خلدون هي نشاط بشري يتم عبر اللسان.

ثم يؤكد ابن خلدون أن اللغة هي وسيلة التعبير الإنساني حيث يقول " وكُلُّ المَعْرَب والأَنْدَلُس والمَشْرِق، مُتَوَصِّل بِلُغته إلى تَأدية مقصوده والإبانة عما في نفسه، وهذا هو معنى اللسان واللغة"²، ونفهم من هذا أن اللغة قائمة بنفسها تعتبر الوسيلة التي يُعبر بها الإنسان، فتختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتها.

¹ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: خليل شحاده، بيروت، لبنان، 2001م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 753.

² المرجع نفسه، ص 770.

الفصل الأول: اللغة و الكلام في التراث العربي

يتضمن تعريف ابن خلدون للغة " عدّة مسائل"¹:

- اللغة عبارة المتكلم عن مقصوده: ومعنى ذلك أن اللغة وسيلة يمتلكها متكلم اللغة ويُعبر بواسطتها عن أفكاره ومتطلباته فهي التي تُميز الإنسان عن غيره من الكائنات.

- الكلام مقصود بإفادة السامع: عبارة عن أصوات نطقية تخرج لإفادة السامع عن طريق اللسان، حيث قال تمام حسان " إنّ الدراسة اللغوية للكلام تجعله على المستوى الصوتي على صلة باللغة، ولا بد أن يكون كذلك من حيث قصد به يدل على معنى"²، فالكلام صورة للمعاني اللغوية.

- عبارة عن ملكة: وأكد هذا في قوله " هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكن، فظهرت في بادئ الأمر أنها جيلة وطبع"³، أي أن الملكة لها طابعين فطرية ومكتسبة، فالفطرية ينبغي أن وأما المكتسبة فينبغي أن تمتلك.

- ويقصد في كل أمة بحسب اصطلاحاتها: أن ابن خلدون يحدد اللغة في صورتها الكلية باعتبارها ملكة تخص الإنسان وحده، وهذه الملكة تظهر عند كل أمة في شكلها الخاص، وكلاهما اعتبر اللغة نشاطا إنسانيا مكتسبا، وهي وسيلة من وسائل الاتصال بين أفراد الأمة الواحدة.

وقد حدّد ابن خلدون اللّغة من جانبين: من جانب طبيعتها التي هي ' فعل لساني '، ومن جانب وظيفتها على أنّها أداة تواصل بين أفراد المجتمع، وهذا ما يؤكده فندريس بقوله " في أحضان المجتمع تكونت اللغة لحاجة الناس إلى

¹ ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ط1، بيروت، 1986، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص 11.

² تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 33.

³ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص 775.

الفصل الأول: اللغة و الكلام في التراث العربي

التفاهم فيما بينهم"¹، وهذا يعني أن اللغة ظاهرة اجتماعية، الغاية منها الوصول إلى التفاهم بين أفراد المجتمع الواحد.

ويؤكد على عرفيتها حيث ذكر أن لكل أمة اصطلاحاتها الخاصة، يكتسبها الإنسان من المحيط الخارجي، على عكس ابن فارس الذي يعتبر اللغة بالوحي والإلهام في قوله "إن لغة العرب توقيف"²، والدليل على ذلك قول عز وجل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31].

ولم يُحدد ابن خلدون زمن وضعها من خلال قوله "واعلم أن النقل الذي تثبت به اللغة إنما هو النقل عن العرب، واستعمالهم لهذه المعاني ليس أنهم وضعوها لأنه متعذر بعيد ولم يعرف لأحد منهم"³، وهذا يعني أن اللغات لا تثبت بقياس ما لم نعلم استعماله، وإنما تثبت بالنقل عن العرب، وقد أشار الحصري في تعدد مصطلحاته بقوله "أن ما نسميه اليوم اللغة الفصحى، فتسميتها عند ابن خلدون ((لغة مضر))، و(لسان العرب) ... وما نسميه اليوم (اللغة العامية فكان يُشير إليها بعدة لغات أهمها (بلغة الجليل، ولغة العرب وغيره)"⁴، وهذا يعني أن اللغة العربية هي أكثر اللغات السامية تحدثاً، وإحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم، هذه الداريجة التي في نظر ابن خلدون ظهرت نتيجة لتدهور الفصحى، حيث فسدت ملكة لسان مضر من خلال مخالطتهم الأعاجم فانقلبت اللغة إلى لغة أخرى.

¹ ج، فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، د ط، القاهرة، مصر، 1950م، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 35.

² ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ط1، بيروت لبنان، 1997م، دار الكتب العلمية، ص 6.

³ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص 759.

⁴ ينظر: الحصري ساطع، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، طبعة مُوسعة، مصر، 1953م، دار المعارف.

الفصل الأول: اللغة و الكلام في التراث العربي

1_2 الملكة اللغوية عند ابن خلدون:

إن تعلم أي لغة يعني اكتسابها، وهذا الاكتساب يُعد من أهم القضايا التي تناولها اللغوي الغربي، الذي يُفيضُ بالعلماء والمفكرين الذين أسهموا في بحثها، وقد انطلق ابن خلدون في حديثه عن اكتساب اللغة بقوله " إلا أن اللغات لما كانت ملكات كان تعلمها ممكناً بشأن سائر الملكات "¹ وهذا يعني أن الملكة في نظر ابن خلدون صفة راسخة في النفس، تُمكن الإنسان من القيام بالأعمال العائدة إليها، والإنسان مهياً لاكتساب الملكات.

فاللغة عبارة عن صفة يكتسبها الإنسان بشكل غير مقصود وتبدو كأنها فطرة، وبذلك يرفض الآراء القائلة، بأن متحدثي اللغة السليمة الفصيحة إنما يتحدثون بها بالفطرة وحدها، ويقول في المقدمة " فإن الملكات إذا استقرت في مجالها ظهرت كأنها طبيعية، ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات في لغتهم، إعراباً وبلاغة أمر طبيعي "²، أي أن العرب كانت تنطق بالطبع بحيث استقرت ورسخت فيهم، فأصبحت لا شعورية ولهذا كثير من الناس ظنوا شأن الملكات كانت إعراباً وبلاغة.

وبتأكيد من ابن خلدون على أن " الملكة اللسانية مكتسبة يميز بين نوعين من الاكتساب اللغوي ' الاكتساب بواسطة سماع لغتهم ' " والاكتساب بواسطة الحفظ والمران، وهو في بدايته يرى اللغة أنها ملكة، ويقسم ظواهر تعليم ملكة اللغة إلى ثلاثة أنواع، ظواهر قاعدية، نفسية، واجتماعية "³.

¹ عبد الرحمن، ابن خلدون، المقدمة، ص 771.

² المرجع نفسه، ص 775.

³ ينظر: ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون.

الفصل الأول: اللغة و الكلام في التراث العربي

ويقول ابن خلدون " اللغات هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني التي تؤديها بعضها البعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم لتحصل ملكتها بطول الحفظ على ذلك"¹، وهذا يعني أن ابن خلدون يعتبر اللغة مبلغة في الضمائر والنفوس، وهي وسيلة اتصال تؤدي بالمشافهة واكتسابها يكون عن طريق التكرار والحفظ، ومن أهم الظواهر التي تحدث عنها ابن خلدون في مقدمته ظاهرة اكتساب اللغة، ويمر عنده بثلاث مراحل وهي كالآتي:

- كثرة الحفظ وجودة المحفوظ " تعتبر أهم طريقة في اكتساب اللغة الفصحى عند ابن خلدون؛ وهي حفظ كلام العرب، يجعل القرآن الكريم والحديث الشريف من أول ما ينبغي الإنسان أن يحفظه، ثم بعد ذلك كلام السلف عامة، ثم كلام العرب شعرا ونثرا، ولم يستثن كلام المولودين"²، ويقول في هذا " يرون أن تحصيلها أن يأخذ نفسه يحفظ كلامهم من القرآن والحديث وكلام السلف والعرب في أشعارها والمولودين في سائر فنونهم حتى ينتزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظور والمنثور"³، وهذا يعني أن ابن خلدون يرى أن الطريقة الصحيحة والأمثل لاكتساب اللغة، هو حفظ كلام العرب على ألسنتهم حتى يتخلص من اللغة العامية، وبذلك يتقن اللغة العربية.

- الفهم: لابد للغة أن تمتلك بالفهم، فهو الذي يُمكن الحافظ من استعمال ما حفظه بشكل صحيح، وذلك في قوله ثم يتعرف بعد ذلك في التعبير عما في ظهيره وتأليف الكلمات وحفظ الأساليب، فتحصل له هذه الملكة لهذا الحفظ والاستعمال، ويحتاج إلى سلامة الطبع والتفهم الجيد، لمنازع العرب وأساليبهم ومراعاة التطبيق بينها وبين

¹ عبد الرحمن، المقدمة، ص 631.

² ينظر: أحميدة العوني، التعليم المفيد عند ابن خلدون في مقدمة كتابه، ط1، بيروت، لبنان 2015م، دار الكتب العلمية.

³ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص 559.

الفصل الأول: اللغة و الكلام في التراث العربي

مقتضيات الأحوال، إذن الفهم عند ابن خلدون هو الذي يُحَقِّقُ التصرف في الملكة واستعمالها في مكانها الصحيح وما الحفظ إلا وسيلة لاكتسابها.

2 الكلام عند ابن خلدون :

يعتبر ابن خلدون مصطلح الكلام هو المنجز من اللسان، وهو ظاهرة فردية يؤديها المتكلم قصد التواصل وباعتباره أيضا وسيلة للفهم والإفهام، ويعتبره من ووظائف لا تختلف من اللسانيات، ومن هذه الوظائف حسب ابن خلدون ما يلي:

2_1 الكلام ووظيفة التواصل:

يرى ابن خلدون أن الكلام ملكة من الملكات اللسانية، بحيث "تحصل بممارسة كلام العرب والتفطن لخواص تركيبه"¹، ونفهم أن المتكلم ينجز كلامه، ويستمد عباراته التي ورثها عن المجتمع الذي ينتمي إليه، فهو يتأثر في بناء ملكته اللسانية، بما هو من كلام العرب، ويعتبر ابن خلدون أن معرفة القوانين النظامية اللسانية بمفردها لا تكفي لأداء وممارسة ملكة الكلام، فملكة الكلام "لا تحصل بمعرفة القوانين العلمية التي استنبطها أهل صناعة اللسان، ولا تنفيذ الملكة بالفعل في محلها"²، وهذا يعني أن المتكلم لا يلجأ إلى استعمال القوانين العلمية المتحكممة في النظام اللساني وحدها بل يُساندها بالقوانين الاجتماعية الفاعلية في عملية التواصل، ولذلك "فالمتكلم بلسان العرب، يتحرى على أساليب العرب وينظم الكلام على

¹ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص 529.

² خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ط1، 2013م، دار الأمان، الرباط، ص 167.

الفصل الأول: اللغة و الكلام في التراث العربي

ذلك الوجه، فإذا اتصلت مقاماته بمخالفة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه"¹ نفهم من هذا القول، أن ابن خلدون أدرك أن الكلام جزء من النظام الاجتماعي الفاعل في المتكلم .

2_2 الكلام ومقتضى الحال:

تقتضي العملية التواصلية عناصر لسانية تتمثل في المنطوق من الكلام، وعناصر أخرى مقامية تجري في الانجاز الكلامي، وهي ما اقترح ابن خلدون عليها بمقتضى الحال " ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة على أحوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل، وهو محتاج إلى الدلالة عليه لأنه من تمام الإفادة"²، ونفهم من كلام ابن خلدون، أن الكلام بتكون من الجانب اللساني ومن وضعية التلفظ التي تكتنفه، وهما أمران أساسيان في دراسته ، ولذلك وُجِبَ تحديد عناصر المقام التخاطبي حتى تحصل الإفادة وعلى المتكلم أن يكون عالماً بما عارفا بأحوالها ، "كل معنى لا بد أن تكتنفه أحوال تُخَصُّه فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود لأنها صفاته"³ ، وهذا يعني أن مفهوم الكلام عند ابن خلدون، يبني على الأداء التلفظي الذي تُقَيِّدُه مقتضيات أحوال التخاطب وهي مقامية وخاصة.

ويعرّف ابن خلدون الكلام بقوله: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرّد على المبتدعة في الإعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسرّ هذه العقائد هو التوحيد"⁴، نلاحظ أن ابن خلدون يصدر

¹ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص 529.

² خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص 168.

³ المرجع نفسه، ص 168

⁴ عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص 200

الفصل الأول: اللغة و الكلام في التراث العربي

في تصوره لعلم الكلام عن مذاهب السلف وأهل السنة، ويرى أن جوهر العقائد الإيمانية هو التوحيد، فحاول تقديم دليل عقلي يكشف فيه عن التوحيد، فهو منهج يشمل العقل والنقل.

ثانيا: اللغة والكلام عند السيوطي (911هـ)

1 اللغة عند السيوطي:

نقل السيوطي حد اللغة في كتابه عن ابن جني الذي أشرنا إليه سابقا وابن الحاجب في تحديدها أنها " كل لفظ وضع للمعنى"¹، أي انه لم يعقب بشيء على هذه الحدود.

يبدو أن هذا التحديد للغة الذي عبر عنه ابن جني هو الذي يعكس لنا التصور الشاسع للغة عند العرب فهو " أشدّ التّصورات تأثيرا في نفوس الدارسين وعن طبيعة اللغة، وما عسى أن يكون فيه من شمول"²، فقد ربط بين اللغة وبين الاتجاهات المختلفة في دراستها.

ويرى السيوطي أن " أصل اللغات كلها من الأصوات المسموعات كدوي الرياح، حنين الرعد، وخرير الماء وشحیح الحمار....، ونحو ذلك"³، ونفهم من هذا التعريف أن لكل حالة من الحالات المذكورة لها أثر على أذن السامع عدّ صوتا، فدوي الرياح مثلا : يحدث ضجة وجرسا على أذن السامع، وأيضا صوت الحيوان نحو: شحیح الحمار فهو صوت يوحى بنهيق الحمار فهو يؤدي معنى معين.

¹ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهري في علم اللغة وأنواعها، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وغيرهم، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ج1، ص8.

² سيد خليل، التطور اللغوي عند العرب، مقال بمجلة كلية الآداب، مج 14، ص 179.

³ جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة، ج1، ص15/14.

الفصل الأول: اللغة و الكلام في التراث العربي

وقال أيضا في كتابه " أن أصل اللغات كلها توقيف واصطلاح أحد القائلين بالتوقيف بوجودهما قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: 3]، فالأسماء كلها معلمة من عند الله بالنص، وكذلك الأفعال والحروف ولأن الاسم ما كان علامة، والتميز من تصرف النحاة لا من اللغة، ولأن التكلم بالأسماء وحدها متعذر¹ وهذا يعني أن اللغة توقيف من الله. وثانيهما " أنه سبحانه وتعالى ذَمَّ قوما في إطلاقهم أسماء غير توقيفية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا ﴾ [البقرة: .]، وذلك يقتضي كون البواقي توقيفية²، ونفهم من هذا أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية يعني إثباتها متوقف على الدليل أي ما دَلَّ على ذات الله فهو اسم .

2 الكلام عند السيوطي:

يُطلق السيوطي الكلام لغة على " الخط، والإشارة وما يفهم من حال الشيء، وإطلاقه على هذه الثلاثة مجاز ، وعلى التكليم الذي هو المصدر، وفي كلام بعضهم ما يقتضي أن إطلاقه على هذا حقيقة هو المصدر، وعلى ما في النفس من المعاني التي يُعبر عنها، وعلى اللفظ المركَّب أفاد أم لم يفد³.

ويرى السيوطي " أن الكلام إنما هو حرف وصوت فإن تركه سدى غفلا، وإن قطعه تقطع فقطعوه وجزؤوه على حركات أعضاء الإنسان التي تخرج منها الصوت، وهي من أقصى الرئة إلى منتهى الفم، فوحدوه تسعة وعشرين

¹ السيوطي، مزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص 17.

² المرجع نفسه، ج1، ص 17.

³ السيوطي، همع الهوامع في جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، ط1، بيروت 1998م، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ص

الفصل الأول: اللغة و الكلام في التراث العربي

حرفا، لا يزيد عن ذلك ثم قسموها على الحلق واللثة التي تخرج منها والتي تكون من أقصى الرئة إلى منتهى الفهم ، فالصوت هو الدفعة اللغوية الخارجة، من الجوف عبر الجهاز النطقي.

وعرف أيضا السيوطي الكلام في الاصطلاح فأحسن حدوده وأخصره "انه قول مفيد وهو ما يحسن سكوت المتكلم عليه، وقيل السَّمع والمراد ب (ما يحسن السكوت عليه): ألا يكون محتاجا في إفادته السامع كاحتياج المحكوم عليه إلى المحكوم به أو عكسه، فلا يضره احتياجه إلى المتعلقات من المفاعيل ونحوها"¹، ونفهم من هذا التعريف أن لا يكون ذلك القول محتاجا ليفيد السامع إلى شيء آخر (أي يحتاج في حصول الفائدة).

3 بين اللغة والكلام عند السيوطي:

وللسيوطي كلام وجيز يفرق فيه أيضا بين اللغة والكلام، حيث قال " المتكلم قد يتكلم على شرط لغة معينة، أي أنه يأتي بكلامه بحسب النظم الصوتية، الصرفية، وغيرها من مفردات هذه اللغة، فالكلام نشاط عضلي مُكَوَّن من رموز معينة موضوعه هي اللغة، وأما الذي يستعمل الإشارة فإنه يستعمل اللغة لا الكلام"²؛ أي أن الكلام بمثابة تطبيق لنظام اللغة.

وقد بالغ الخفاجي في إنكار ذلك عليهم، فقال في كتابه (سر الفصاحة) " الكلام عندنا ما انتظم من حرفين فما عدا من الحروف المعقولة، إذا وقع ممن تَضَعُ أو من قبيله الإفادة"³ وهذا يعني أن الكلام هنا يصح وصف فعله بأنه كلام واشترط وقوع ذلك يلزم عليه أن يكون ما يسمع كلاما

¹ السيوطي، المرجع السابق، ج1، ص 42

² تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 55.

³ ينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة.

الفصل الأول :اللغة و الكلام في التراث العربي

إذا فإن ابن خلدون ربط اللغة بالقصد الذي يتم بإفادة الكلام في حين السيوطي في ربطها بالتوفيق

والاصطلاح، والكلام لفظ يحسن السكوت عليه.

الفصل الثاني :

اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

المبحث الأول:

اللغة والكلام عند اللسانيين الغربيين المحدثين

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

المبحث الأول: اللغة والكلام عند اللسانيين الغربيين المحدثين

على الرغم من المفاهيم التي ألفيناها عند علماء العربية قديما حول ثنائية اللغة والكلام، والتي تقر بالعلمية والدقة عند علماء العربية، إلا أن ما جاء به اللسانيون الغربيون يستحق البحث والتنقيب، ولعل أول من تعرض لهذه الثنائية دراسة وعرضا وتحليلا هو اللساني السويسري فرديناند دي سو سير *ferdinand de saussure*، ثم تشومسكي وغيرهما كثير.

أولا: اللغة والكلام عند دي سو سير (1913م)

1 اللغة عند دي سوسير:

ليس بالغريب أن يعد المنهج الذي عمد إليه دي سوسير في الدرس اللغوي الحديث، منعرجا حاسما في تعيين حدود مصطلحين، فما يزال الباحثون من اللغويين، يعيدون إليه الفضل في إحداث تغيير حقيقي في التحليل اللغوي وفي النظر إلى الظاهرة اللغوية بفضل تعيينهما والفصل الواضح الجلي بين حدودهما المشتركة والمصطلحان هما "اللغة والكلام" فاللغة عنده "هي النظام الذهني القائم في عقول الجماعة اللغوية الواحدة، الذي يحاول كل فرد فيها أن يأتي بما سمي عنده بـ 'الكلام' على مقتضاه، ولا حاجة في هذا المقام إلى الإحالة على مراجع معينة في هذا التحديد المصطلحي، لأن ذلك أصبح من مسلمات الدرس اللساني الحديث، فلا منازع فيه بل صار هذا التعيين السويسري للمصطلح حقا مشاعا في الحقل اللغوي بأسره. غير أن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو تأكيد سوسير أن ما كان يدرس في الحقل اللساني فيقتصر عليه وحده إنما هو نظام الجماعة اللغوية الذهني، أي اللغة والكلام"¹

لأن اللغة "بمعزل عن الفرد الذي يمكنه أن يتتبع فيها أو يغير، إنما موجودة فحسب، لوجود عقده بين أفراد المجتمع فنحن حين ندرسها إذا سوف ندرس نماذج وقواعد لا منطوقات، النموذج ثابت في شعور الأفراد وإن تغير، تغير ببطء شديد لا يكاد يدرك بحيث يمكننا الزعم بأنه ثابت ونقوم بالدراسة على هذا الاعتبار"² ومن

¹ محمد سعيد صالح ربيع الغامدي، اللغة والكلام في التراث النحوي العربي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة،

مجلة عالم الفكر، المجلد 34، ع3، 2006م، ص 03.

² عبد العزيز، محمد حسن، سوسير رائد علم اللغة الحديث، القاهرة، دار الفكر العربي، 1990م، ص 23، 24.

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

هذا التمييز المصطلحي بين مفهومين من مفاهيم علم اللغة، استطاع سوسير قلب طبيعة النظر إلى اللغة إذ كشف الغطاء بمصطلحيه الشهيرين هذين حقيقة ثابتة من حقائق اللغة هي حقيقة النظام الذهني الجمعي المستقر في أذهان جميع أفراد الجماعة اللغوية المتكلمة بلغة واحدة معينة، وبذا اتضحت صورة ما ينبغي أن ندرسه من عناصر الظاهرة اللغوية المكونة لها.

ودائما ما يعتبر دي سو سير عالما متميزا عن باقي علماء اللغة الذين سبقوه، وذلك بسبب النظرة اللغوية الجديدة التي تجسدت لديه، إذ وضع منهجا علميا بدقة وعناية، وحدد علاقة هذا العلم بالعلوم الأخرى التي تشترك معه في دراسة بعض الظواهر الإنسانية.

وبعد أن أرسى دعائم المنهجية التي قامت عليها اللسانيات الحديثة، فصل دي سو سير بين العناصر الداخلية للغة وبين العوامل الخارجية لها " فافتراض في المنطق استبعاد الأشياء الخارجية عن بنيتها أو نظامها (اللغة) أي ما يدعى بعلم اللغة الخارجي أو خارج اللغة، إذ ما هو داخل غير ما هو خارج عنها فيمكننا بهذه الخاصية دراسة العوامل التي أنشأت لغة الأدب مثلا دون العناية بدراسة بنية هذه اللغة وقواعدها"¹ ويفصله بين ما هو داخلي للغة وما هو خارجي يفصل دي سو سير " القول في تلك المفاهيم الثنائية التي شكلت محاور نظريته اللسانية، والتي جعلها محور اهتمام عالم اللغة إذ عليه البحث عنها ومعرفة حقيقتها والكشف عن العلاقات التي تحدد طبيعتها وتراكيبها، ثم تفسيرها للوصول إلى دراسة علمية للغة في ذاتها ولذاتها"² ويعتبر اللسان واللغة والكلام أهم المفاهيم التي فرق بينها دي سو سير في دراسته اللسانية .

¹ ذهبية حمو الحاج، لسانيات وتداولية الخطاب، المدينة الجديدة، تيزي وزو، الأمل للطباعة والنشر، ص 43

² بركاهم بلفضل، جدلية الثنائية في اللسانيات الحديثة، رسالة ماجستير، 2006م، 2007م، ص 77.

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

فقد عرف اللسان بأنه " ذلك النظام الذي تمتاز به كل ذات إنسانية وهي تنتمي داخل مجتمع يسير وفق أحكام مضبوطة، لها علاقة بالجانب الاجتماعي"¹ ، فاللسان يدل على النظام العام للغة، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر، وهو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام ويتكون من ظاهرتين مختلفتين اللغة والكلام إذ أن اللسان حسب " هو رصيد يستودع في الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع واحد، بفضل مباشرتهم للكلام وهو نظام نحوي، يوجد وجودا تقديريا في كل دماغ"² ، أي يوجد في أذهان جماعة تنتمي لنفس المجتمع كاللسان العربي مثلا إذ يمتلكه كل فرد ينتمي إلى المجتمع العربي بقيمة ثقافية وحضارية، وبهذا المعنى فاللسان " جزء معين متحقق من اللغة بمعناها الإنساني الواسع، وهو اجتماعي وعرفي ومكتسب نظاما متعارفا عليه داخل جماعة إنسانية محددة"³ ، ومنه يكون واقعة اجتماعية تجمع اللغة والعادات اللغوية أو ما يعرف بالكلام والتي يمارسها أفراد المجتمع، كما أن للسان عدة جوانب " فيزيائية فيزيولوجية ونفسية مما يجعله صعب التصنيف ضمن الوقائع، ويمكن القول بأن اللسان ظاهرة عامة"⁴ ، تحوي كل من اللغة والكلام.

1_1 اللغة ظاهرة اجتماعية:

تتجسد رؤية دي سو سير للغة على أنها نظام اجتماعي محدد بقواعد وقوانين مشتركة، فهو يصفها بأنها ظاهرة اجتماعية كامنة في أذهان الجماعة ومخزونها الذهني الذي تملكه أو هي " تلك الصفة التي تميز الذات الإنسانية

¹ مختار لزعر، حبيقي بن ناصر، اللسانيات النظرية وتعميقها المنهجية، الجزائر، 2009، ديوان المطبوعات للنشر والتوزيع، ص

² شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية، ط1، لبنان، 2004 م، أبحاث الترجمة للنشر والتوزيع، ص 14.

³ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط3، 1998م، دار الفكر، ص18.

⁴ بركاهم بلفضل، جدلية الثنائية في اللسانية الحديثة، ص77.

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

القائمة على العملية التواصلية والتي جعلتها هذه الأخيرة تمتاز بها عن باقي الكائنات الحية¹ فاللغة واقعة اجتماعية وخصوصيتها ليست مجردة، بل متكامل كامن ليس في عقل واحد بل في عقول جميع الأفراد الناطقتين بلسان واحد. وهذا إن دل إنما يدل على فصله بين طرفي الثنائية، كما أنه يعتبر اللغة "من مودع عن طريق ممارسة اللفظ لدى جماعة من الأشخاص المنتمين إلى مجموعة واحدة، وهو نظام نحوي يوجد بالقوة في كل دماغ، أو على نحو أدق في أدمغة مجموعة من الأفراد، وذلك لأن اللغة ليست تامة في دماغ واحد منها بمفرده ولا يوجد لها على الأوجه الأكمل إلا عند الجمهور"² وبالتالي هي ظاهرة اجتماعية خارجة عن وعي الفرد، وهي نظام يخص مجموعة من المتكلمين، واللغة بوصفها ظاهرة إنسانية اجتماعية ترتبط بالمتكلمين، فإن لها علاقة بالجانب النفسي في الإنسان ذلك أنها "نظام أو مجموعة من القواعد والمعايير المستقرة بصورة تجريدية في ذهن الجماعة أو في المعاجم وكتب اللغة والنحو"³، وهي بمثابة ملكة إنسانية تتجلى في القدرة على التخاطب باستخدام ذلك الرصيد من العلامات والقواعد التي تنتقل من جيل إلى آخر.

1_2 اللغة شكل لا مادة:

ينظر دي سو سير إلى اللغة على أنها شكل وليست مادة⁴، أي الشكل الذي تنتظم وفقه الأفكار والأصوات وهذا الشكل هو الجدير بالدراسة الوصفية والدراسة الوصفية، لأنظمة اللغوية الشكلية أساسية في علم اللغة عنده

¹ مختار لزعر، حنفي بن ناصر، اللسانيات النظرية وتعميقها المنهجية، ص 45.

² فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص 29.

³ كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، 1985، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 56.

⁴ ينظر فرديناند دي سو سير، دروس في الألسنية العامة.

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

وعند من بنى نظريته البنيوية واللغة " تنضوي بالضرورة على مجموعة من العناصر نفسها تفترض نظاما أو نسقا يجعل منها صورة (forme) لا جوهر (substance) " ¹.

ولقد سعى إلى تصنيف اللغة بين مختلف الوقائع البشرية فيقول " إن اللغة نظام من الدلائل، يعبر عما للإنسان من أفكار، وهي في هذه شبهة بالكتابة وبألفبائية الصم والبكم وبالطقوس الرمزية وصور آداب السلوك وبالإشارات الحربية وغيرها، إلا أن اللغة أهم هذه الأنظمة جميعها " ²، ومن خلال ما قدمه دي سو سير من تعاريف حول اللغة نعلم إلى أنه سعى لدراسة اللغة في ذاتها ولذاتها كما أنه حاول الفصل بينها وبين تاريخها ودرسها بمنهج وصفي آني.

2 الكلام عند دي سو سير:

يعني الكلام " تلك الحادثة الفردية، وذلك الانجاز الذي يتغير لدى كل متحدث دون تجاوز لحدود الفهم المتبادل " ³، إذ أنه سلوك فردي ملموس خاضع لإدارة المتكلمين متغير من فرد لآخر، والكلام بالنسبة لسوسير هو التجسيد الفعلي الواقعي للغة، ويختلف من شخص لآخر تبعا لاختلاف البيئة والمستوى الدراسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، بمعنى أن الكلام يعد تجسيدا محسوسا للغة ومن ثمة هو موضع اهتمام الباحث اللغوي ليصل إلى وضع قواعد وقوانين لتلك اللغة، كما أنه " نتاج فردي حر وإرادي يختاره المتحدث من ذلك المخزون ليعبر عن فكره ورسالته " ⁴ إذ يمثل النتاج الفردي لملكة ' اللسان ' وهو مرتبط بإرادة الفرد ومتعلق بذكائه.

¹ نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات، ط1، 1993، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، ص 43.

² فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص 37.

³ جورج موانان، علم اللغة في القرن العشرين، تر: نجيب غزاوي، 1402هـ، 1982م، مكتبة الملك فهد الوطنية، ص 50.

⁴ بوحوش رابع، اللسانيات وتحليل النصوص، ط1، الأردن 2007م، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ص 44.

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

ويعتبر دي سوسير " الكلام عرفي وثنائوي وإن كان لا بد من دراسته والمرور عبره للوصول إلى دراسة اللّغة، فهو

وسيلة ضرورية للكشف عن جانب من المظهر الطبيعي للغة¹ التي تمثل جوهر الدراسة اللغوية.

3 ما يميز اللغة عن الكلام:

ومما ذكر يمكن تحديد أهم الفروق التي وضعها دي سوسير بين اللغة والكلام، فرغم أنه فصل بين ثلاثة مفاهيم

' اللغة والكلام واللسان ' إلا أنه ركز أكثر على ثنائية 'اللغة والكلام' لكونه يرى فيها أهمية كبيرة لما يخدم منهجه

وما يشتغل عليه من تصورات، وأهم النقاط التي توضح الفرق بين الثنائية هي:

- اللغة ظاهرة اجتماعية مقارنة بالكلام الذي هو فردي، يتغير من شخص إلى آخر.

- اللغة نظام ينظم الكلام ويضبطه، والكلام وسيلة هامة لاكتشاف اللغة.

- كما أن " اللغة هي نتاج ينطبع به الفرد، بينما الكلام في المقابل هو عمل إرادي يقوم به الفرد"². فاللغة نتيجة

اجتماعية للسان تقتضي وجوده، في حين الكلام بالرغم من أنه نتيجة اللسان إلا أنه فردي وليس اجتماعي كما هي

اللّغة.

- يقول رومان جاكوبسون Roman Jakobson " إن ثنائية سوسير الداخلية للغة والكلام أو لنستخدم

مصطلحات حديثة وأقل غموضاً ' الشفرة ' (شفرة اللغة عند دي سوسير) والرسالة"³، فاللغة شفرة code أو

نظام، والكلام رسالة (message)

¹ بركاهم بلفضل، جدلية الثنائية في اللسانيات الحديثة، ص 80.

² زواوي بغوره، المنهج البنيوي، ط1، الجزائر، 2001م، دار الهدى للنشر والتوزيع، ص 26.

³ رومان جاكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر: علي حاكم صالح وحسن ناظم، ط1، المغرب، 2002م، المركز

الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 31.

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

- اللغة " شيء محدد بوضوح يستخلص من مجموعة وقائع الكلام المتناثرة ، ويمكن أن نحدد موقفها ضمن دائرة الكلام التي تشمل اللفظ المنطوق وقناة التوصيل الطبيعية و الصورة السمعية والتصور الذهني للمتلقى فتقع اللغة في الجزء الذي تستدعي فيه صورة سمعية ما تصوروا ذهنيا خاصا ،وهي لذلك العنصر الاجتماعي للكلام الخارج عن حدود الفرد إذ انه وحده لا يستطيع خلق لغة و لا تعديلها"¹ ، أي اللغة تقوم على نوع من الإتقان ولا يمكن لفرد واحد تعديلها برغبة منه وان كانت جزء من الكلام ، إلا أنها جزء يخص المجتمع كذلك.

ثانيا: اللغة و الكلام عند أندري مارتني نيه 1980م، 1999م:

1- اللغة عند أندري مارتني نيه

حاول أندري مارتني نيه André Martinet " أن يعرض في كتابه ' مبادئ اللسانيات العامة ' اللسانيات la l'inguistique واللسان la langue ، والكلام ' le langage ' فاعتبر هذه المبادئ الثلاثة هي أساس بناء نظريته اللسانية"²، فكانت له نظريته الخاصة لكل مبدأ واستطاع أن يبرز وجهة نظره في مجال الدرس اللساني الحديث، فيرى" أن اللغة أداة تواصل تحلل وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة في كل مجتمع أنساني عبر وحدات تشتمل على محتوى دلالي وعلى عبارة صوتية"³ ، إذ يعتبر وسيلة أساسية للتواصل بين المتكلمين بها، تقوم على أساس الوحدات الصوتية التي تشتمل بدورها على دلالات معينة .

¹ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، بيروت، د ت، منشورات دار الأفاق الجديدة، ص 26.

² ليارير بلقاسم، أندري مارتنييه (الوظيفة السيميائية للغة)، الملتقى الثالث، السيميائية والنص الأدبي، الجزائر، ص 07

³ حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب، ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 13،

نقلا عن : a. martin, elements del'inguistique généraux paris , arma collim ; p20, 1960.

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

ويعرف اللغة " بأنها وسيلة إبلاغ يستطيع الإنسان بها أن يحلل خبرته إلى وحدات، لكن هذا التحليل يختلف من مجتمع إلى مجتمع، أما الوحدات فهي ذات مضمون دلالي وتعبير صوتي، وهي ما نسميه بالوحدات الدالة وينقسم التعبير الصوتي بدوره إلى وحدات تمييزية وهي في كل لغة وهي تختلف من حيث النوع والعلاقات المتبادلة فيما بينها من لغة إلى أخرى " ¹ فيظهر تركيزه على الوظيفة اللغوية للغة والتي " تترجم شكل وحدات معنوية وصوتية، تعبر عن خبرات الإنسان وأفكاره وحاجاته، وهذه الوحدات تنقسم إلى وحدات دلالية تحمل معنى، ولها صيغة صوتية تدعى مونيمات، monèmes ووحدات صوتية مميزة تدعى فونيمات phonèmes تختلف باختلاف العلاقات الرابطة بينهما تركيبية كانت أو استبدالية " ²، كما أن اللغات وطرق التعبير بها تختلف في المجتمعات الإنسانية من مجتمع لآخر، ما يؤكد أن اللغة خاضعة للجماعة الناطقة بها مما يجعلها ظاهرة اجتماعية .

يقول مارتني نيه " أن الإشارة إلى اللغة كوسيلة أو كأداة للتواصل، تلفت الانتباه إلى ما يميز اللغة عن مؤسسات أخرى، إن وظيفة هذه الأداة (اللغة) الأساسية هي وظيفة التواصل " ³، فمن الواضح أنه يركز على وظيفة مهمة في اللغة، والمتمثلة في التواصل بين نفس المتكلمين بهذه اللغة كما أنه يرى أن اللغة لا تنقل الواقع كما هو، ذلك أنها كبنية منتظمة يرى المتكلم من خلالها عالم الأشياء، والأحاسيس فيكتسب الخبرة الإنسانية بحسب النظام اللغوي الذي يعبر عنها.

¹ أندري مارتني، مبادئ اللسانيات العامة، تر: أحمد حمو، دمشق، 1404، 1405 هـ

² بركاهم بلفضل، جدلية الثنائية في اللسانيات الحديثة، ص 137.

³ حسام البهنساوي، أهمية الربط بن التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي، ص 14 نقلا عن a. martin,

éléments de l'linguistique général , p20

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

فتعلم لغة جديدة لا يؤدي إلى وضع أسماء جديدة للمسميات، بل يمكن المتعلمين من طريقة تحليلية مختلفة لعملية التواصل يكتسبها من معرفته، إذ إنها بنية منتظمة تختلف طرق التعبير عنها من لغة إلى لغة كما أنها ليست حفظ مجموعة من الكلمات، بل إنها استعمال لهذه الكلمات من خلال اتباع قالب هذه اللغة، والإنسان مهما أوتي درجة كبيرة من الرصيد اللغوي، إلا أنه لا يستطيع أن يتحدث اللغة الثانية كلغته الأم.

عرف أندري اللغة بأنها " مؤسسة بشرية خاضعة لتأثير الجماعة، وصادرة عنها كباقي المؤسسات البشرية تؤدي وظيفة مهمة وأساسية في المجتمع تتمثل في التواصل والتفاهم المتبادلة ونتيجة لهذا فهي تنطبع بطابع خاص بالجماعة الناطقة بها، ولذا فهي تختلف من مكان لآخر بالرغم من ثبات وظيفتها التواصلية، وتتدخل عوامل مختلفة تعرض اللغة بسببها للتغير والتبديل، وخاصة تحت ضغط حاجات المجتمع المختلفة، وهذه نقطة أخرى تلتقي فيها اللغة بالمؤسسات البشرية " ¹ لهذا اللغة تتغير حسب الحاجات التي تنشأ في المجتمع، فالحاجة تؤدي إلى تفسير اللغة وتبديلها.

2- الكلام عند أندري مارتي نيه

عبر مارتي نيه عن الكلام بقول " يمكن التعبير عن المقابلة التقليدية بين اللغة والكلام، بالمصطلحين السنن (code) والرسالة (message) والسنن تنظيم يسمح بتأليف الرسالة، وبه يمكن مقابلة كل عنصر من عناصرها لاستخلاص المعنى " ² ؛ أي أن الكلام عبارة عن رسائل يقوم المتكلم بخلقها، بالاعتماد على سنن أو مجموعة من القواعد التي مركزها الدماغ وبها تتم عملية التواصل بين الطرفين المتخاصمين .

¹ أندري مارتينييه، مبادئ اللسانيات العامة، ص12

² André Martinet. Eléments de linguistique générale. Armand 25 . 1996

Collin. paris. p

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

2 _ بين اللغة والكلام:

وقد فرق مارتينييه بين اللغة والكلام من خلال تمييزه بين " المعطيات اللغوية بوصفها جزءا من الذخيرة، التي توجد في تصرف المرء من أجل الإبلاغ"¹، وهنا اتفاق مع نظرة دي سوسير بوصف اللغة كنزا موجودا في الذهن والتي نستخدمها بطريقة إبداعية بغرض إبلاغ الطرف الآخر وبين المعطيات اللغوية من مختلف الأنواع كما تظهر في الأقوال أي تطبيق العملية الكلامية وهي بمثابة إنجاز فردي لنظام اللغة في الواقع وهو - الكلام - ما يساعد على التعرف على اللغة وبالتالي يعتبر لزاما خاصا منفصلا عن النظام اللغوي، وهكذا فرق مارتينييه بين اللغة والكلام .

ثالثا: اللغة والكلام عند نعوم تشومسكي 1928 Noam Chomesky

إن نظرية التوليد والتحويل التي انتشرت في الولايات المتحدة الأمريكية مع اللساني نعوم تشومسكي، نالت اهتمام علماء اللسان في الشرق والمبدأ التي قامت عليها هذه المدرسة تفريقها بين الكفاءة اللغوية (compétence) والأداء الكلامي (Performance)

3_1 الكفاية بدل اللغة:

"يرتبط مفهوما الكفاءة والأداء اللذان ظهرا عند تشومسكي لأول مرة، بطريقة جلية بمفهومي اللغة والكلام عند دي سوسير لكن تشومسكي لم يتقبل الفكرة التي جاء بها سوسير حول اللغة، واعتبارها مجرد مفردات ينتقي منها الفرد الكلام أو عبارة عن كتلة من المادة"²، لأن تشومسكي يرى أن المنهج الوصفي يقف على الوقائع

¹ المرجع السابق، ص 29

² أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، 2005م، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 212

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

اللغوية، ويصفها كما هي أي أن الحدث اللغوي أمر آلي، لا يرتبط بما في نفس البشر من أمور عقلية وشعورية تؤثر في الحدث اللغوي " فهو يرفض تلك النظرة الآلية إلى اللغة، من حيث كونها عادة كلامية قائمة من خلال المثبرات والاستجابات، ويؤكد تشو مسكي في هذا الصدد أن الطفل يكتسب لغة البيئة التي يتعرع فيها بالاستناد إلى مقدرته الفطرية على اكتساب اللغة، تلك المقدرة يطبق عليها مصطلح الكفاءة اللغوية أو القدرة الإبداعية¹. كما ذكر حسام البهنساوي مجموعة من التعاريف التي قدمها تشومسكي للكفاءة اللغوية، حيث يقول تشومسكي "يشير مصطلح الكفاءة اللغوية إلى قدرة المتكلم - المستمع المثالي - على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته"² أي أنه يربطها بالإنسان المتكلم - المتكلم المثالي - أو المستمع السوي التالبنية لغوية متجانسة والذي يعرفه لغته جيدا.

كما يقول " أن كل من يملك لغة معنية، قد اكتسب في ذاته وبصورة ما تنتظم قواعد تحدد الشكل الصوتي للحملة ومحتواها الدلالي الخاص، فهذا الإنسان قد تطور في ذاته ما تسميه الكفاءة اللغوية"³ فاللغة ظاهرة إذ يعاين اللغة انطلاقا من الذات المنتجة لها.

تعتبر اللغة عند تشومسكي كتابة عن مجموعة (متناهية أو غير متناهية) من الجمل، كل جملة منها طولها محدود ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر. وهذا ينطبق على كل اللغات لأن كل لغة طبيعة تحتوي على عدد متناه من الفونيمات وكل جملة بالإمكان تصورها ككتاب من الفونيمات علما أن عدد الجمل غير متناه

¹ حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث (في مجالي مفهوم اللغة والدراسة التحوية)، القاهرة، 1414هـ 1994م، مكتبة الثقافة الدينية، ص16

² حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب، ص16 نقلا عن: N.Chomesky.the formal nature of language appendix. p126.1969 to E.H lonneberg biological fondations of language trad français.de.N.chomesky.1966

³ المرجع نفسه نقلا عن: N.Chomesky.the formal nature of language appendix.p125. 1967

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

وهنا إشارة إلى الإنسان الذي يتكلم لغة معينة يستطيع أن ينتج جمل لغته وأن يفهمها، ويدي بأحكام عليها من حيث الخطأ والصواب في التركيب، بمعنى أن اللغة قدرة الإنسان على فهم تراكيب لغته وقواعدها، وقدرته من الناحية النظرية على أن يركب ويفهم عددا غير محدود من الجمل، انطلاقا من عدد محدود من الكلمات أو المخزون الذهني.

فنظرية تشومسكي إذن "تقوم على فكرة الكفاءة اللغوية لدى متكلم اللغة؛ حيث إن متكلم اللغة الذي ترعرع في بيئة معينة يكتسب كفاءته اللغوية في هذه البيئة؛ بمعنى أنه يكتسب معرفة ضمنية بقواعد اللغة تمكنه تلك المعرفة من إنتاج جمل لغته وتفهمها، ومن ثم فإن قواعد الكفاءة اللغوية في موضوع الدراسة اللغوية"¹ ومنه يمكن اعتبار المتكلم - المستمع - مصدر اللغة عندما يستعمل معرفته الضمنية بقواعد اللغة في الأداء الكلامي. وقد أشار تشومسكي إلى أن الطفل له قدرة على امتلاك هذه الكفاءة "إذ يقول في كتابه ASPECTS OF THE THEORY OF SYNTAX من الواضح أن الطفل الذي اكتسب لغة ما قد طور في ذاته تصورا لكيفية تنظيم القواعد، وتركيب الجمل فهما واستعمالا ويمكن القول إن الطفل طور في ذاته قواعد توليدية، من خلال ملاحظة الدخل اللغوي الأولى الذي تعرض له، كالقطرة المتوافرة فيه تساعده على إبداع غير محدود للتراكيب والقواعد اللغوية"²، ومنه فانه مسألة الفطرية عند تشومسكي تمثل حجر الزاوية في تفسير عملية اكتساب اللغة الأولى والثانية .

¹ ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور

² خالد أبو عمشة، المشكلة المنطقية في اكتساب اللغة الأولى والثانية، معهد قاصد، الأردن، شبكة الجزيرة الإعلامية.

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

3_2 الأداء بدل الكلام:

يمثل الأداء المبدأ الذي فرق تشومسكي بينه وبين الكفاءة اللغوية، وهو بمثابة حجز الزاوية في نظريته اللغوية، إذ أكد أن النظرية اللسانية تقوم على مبدأين هما: الكفاءة اللغوية، والأداء الكلامي، فإذا كانت اللغة (langue) والكفاءة (compétence)، كما عرفت عند تشومسكي "هي معرفة المتكلم بلغته فإن الكلام أو الإنجاز الكلامي (performance) هو ما ينتج عن هذه المعرفة من كلام متحقق"¹، أي أن الأداء الكلامي أو الإنجاز ما يميل إليه المتكلم أو المستمع عند استعماله الفعلي للغة، فهو استعمال آلي للغة ضمن سياق معين، وهو كما يذكر ميشال زكريا "انعكاس للكفاية اللغوية فيه بعض الانحرافات عن قوانين اللغة"²، وهذا ما يظهر أمراض الكلام ثم إنه _الأداء_ "لا يعدّ الانعكاس عند تشومسكي انعكاساً مباشراً للقابلية إنما يعكسها تحت جملة من الشروط المثالية التي ترتبط بالمتكلم والسامع"³ فالأداء الكلامي انعكاس في عملية التكلم "وهو طريقة استعمال الفرد للغة لهدف التواصل مع الغير، إذ يعدّ مجموعة الجمل المنتجة التي تبدو في فونيمات ومورفيمات تنتظم في تراكيب جمالية خاضعة للقوانين اللغوية الكامنة"⁴، إذن فهو يمثل استعمال الفرد المتكلم للقواعد والقوانين اللغوية الكامنة في ذهن الإنسان.

¹ محمد سليمان العبد، النص والخطاب والاتصال، ط1، القاهرة، 2005م، الأكاديمية للكتاب الجامعي، ص16

² ميشال زكريا، العقل واللغة في النظرية الألسنية التوليدية التحويلية، مجلة الثقافة النّصية، مج3، ع9، 1992م، ص157

³ نعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، تر: مرتضى جواد باقر، جامعة البصرة(العراق)، 1900م، ص28

⁴ تحليل عمارة، المسافة بين التنظير التحويلي والتطبيق اللغوي، ط1، 2004م، دار وائل، عمان (الأردن)، ص252، بتصرف

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

3_3 الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي:

حددت الكفاية "على أنها معرفة يمتلكها مستخدم اللغة عن لغته ترجع آلة المقدرّة اللغوية لتكلم / سامع مثالي، أما الأداء هو الاستعمال الفعلي الذي يؤديه الفرد في مواقف معينة"¹، فيتضح أن تشومسكي جاء بمنهج جديد في دراسة التراكيب ويعد صدور كتابه "البنى النحوية" أهم الأحداث اللسانية، وفيه وضع أصل المذهب التحويلي وأساسه.

ويكون تشومسكي قد ميز بين نوعين من البنى النحوية المتمثلة في البنية العميقة seepstructure البنية والسطحية surface structre "فهذه الأفكار التي انطلقت من الثنائية المتقدمة الكفاءة اللغوية والأداء هي ما يعرف عنده - تشومسكي - ب البنية السطحية و العميقة) أو التركيب الباطني والتركيب السطحي"²، لأن رؤية اللغة بوصفها عملاً عقلياً أو آلة للفكر، والتعبير الذاتي تعني أن اللغة جانبين : جانب داخلي و خارجي، و كل جملة يجب أن تدرس من جانبين الأول يعبر عن الفكر، والثاني يعبر عن شكلها بوصفها أصوات ملفوظة حيث اعتمد على المنطق العقلي في نظريته هذه، فهو يرى أن العقل البشري مزود بجهاز اكتساب اللغة، فاللغة طبيعة إنسانية عقلية والكفاءة هي القدرة على إنتاج الجمل والإبداع والتجديد .

ثم انه وضع هذين المبدأين (البنية العميقة والسطحية) من أجل تسيير دراسة الجملة المنطوقة والمكتوبة وفهم دلالتها. والبنية العميقة "هي التركيب الباطني المجرد الموجود في ذهن المتكلم وجوداً فطرياً، وهي أولى مرحلة من عملية الإنتاج الدلالي للجملة"³، فهي الأصل وأساس التركيب كما تمثل المستوى المجرد للبنية، وأما البنية السطحية "فهي

¹محمود سليمان ياقوت، مناهج البحث اللغوي، د ط، الإسكندرية، د ت، دار المعرفة الجامعة الأزهرية، ص140

²أحمد كاظم العتاي، رؤية في المنهج التحويلي، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، ص38

³شفيفة العلوي، محاضرات في المدارس السانية المعاصرة، ص52

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

تتمثل في التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية، المنطوقة أو المكتوبة، إنها التغيير الصوتي للجملة¹ أي أنها الجملة الناتجة عن التغييرات التي تحدث للجملة.

ومن هذا نستنتج أن الكلام عند تشومسكي ينقسم إلى جانبين: "الأول وقد سماه (البنية السطحية) والثاني ما يجري في أعماق الإنسان ساعة التكلم فيدفعه إلى تفضيل هذه الصيغة أو ذلك التركيب، وسماه البنية العميقة للكلام، إنما تكون تحتها عمليات عميقة، ودراسة بنية السطح تقدم التفسير الصوتي للغة أما دراسة بنية العمق فتقدم التفسير الدلالي لها"²، والبنية العميقة تعبر عن المعنى بمقياس الكفاءة أو القدرة اللغوية.

وخلاصة القول إنه مهما اختلفت المدارس اللسانية باختلاف مفاهيمها ومناهجها وطرائقها في التحليل، إلا أنها جميعاً تندرج تحت مفهوم البنيوية كمنهج للبحث العلمي، يقوم على مبدأ النسق الذي يجعل اللغة نظاماً من الوحدات المترابطة، والتي تحدد قيمة الواحدة منها بعلاقتها مع الوحدات الأخرى، داخل هذا النظام مما يعطي الأولوية لهذا النظام على عناصره.

¹ المرجع السابق، ص 52

² سارة علواني، التراث اللغوي العربي في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، الجزائر، 2014م، 2015م، ص 63

المبحث الثاني

اللغة والكلام في الدرس اللساني العربي الحديث

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

المبحث الثاني: اللغة والكلام في الدرس اللساني العربي الحديث:

لقد شكل القرن التاسع عشر منعطفًا حاسمًا في تكوين الفكر العربي الحديث¹ إذ وجد هذا الأخير نفسه أمام ضرورة القيام بمشاريع إصلاحية كبرى على المستويات جميعًا، وضرورة إعادة النظر في أوضاع هذا الفكر لمواكبة التطور الحاصل في الغرب الذي صدم العرب للمرة الأولى مع الحادث الاستعماري¹، فاستطاع العرب الاحتكاك بالغرب من خلال البعثات التي قام بها الكثير من الباحثين العرب، و قد عرف الدرس اللساني العربي تطورًا منذ اتصاله بالثقافة الغربية – اللسانيات الحديثة _ و ذلك عن طريق البحوث العلمية، إذ نشطت عملية التأليف في علم اللغة الحديث قصد التعريف به وبمختلف مدارس و مناهجه، خصوصًا أنه عرف انتشارًا واسعًا في العالم العربي، ثم انتقل النشاط من مجرد التعريف بهذا العلم والمؤلفات الغربية التي أسست له، إلى النظر في اللغة العربية بالاعتماد على معطيات اللسانيات سعيًا لجعل البحث في هذه اللغة متمسكًا بالعلمية .

والأبحاث اللغوية العربية منذ القدم و حتى الجهود اللغوية الحديثة "تجلت انطلاقًا من تمركزها على عدة مرجعيات وخلفيات، تعتمد كل منها على ثقافة أصحابها وكذا الغاية التي سعي كل منهم إلى تحقيقها وإثباتها في حقل الدراسات اللغوية العربية"² ، فبدأت تظهر في العالم العربي مجموعة من المذاهب تمثلها فئة من الدراسيين العرب وذلك، "نتيجة للواقع الجديد الذي يميز الدرس العربي و التطورات التي طرأت على الدرس اللساني في أوروبا، وتواصل وفود الطلبة العرب على الجامعات الأوروبية والأمريكية ، وبدأت تظهر علاقة بين المناهج اللسانية الغربية والبحث اللساني العربي وذلك من خلال ما قدمه أعلام الدراسات اللسانية في المشرق والمغرب، فتوالت بذلك المؤلفات التي

¹ فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي، ط1، مصر، 2014م، إيتراك للنشر والتوزيع، ص14

² عبد الحليم معزوز، تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسان وعبد الرحمن الحاج صالح، أطروحة دكتوراه، 2017م، الجزائر،

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

أخذ أصحابها على عاتقهم مهمة التعريف بهذا المنهج الجديد في دراسته اللغة¹ ، وللعلم أن الدرس اللساني العربي الحديث "نشأ في جو ثقافي عام تحكمه ثنائية (الأنا/الأخر) الأنا العربي الإسلامي، والأخر العربي المعاصر واللسانيات العربية هي بالضرورة نتاج هذا الإشكال الثقافي ومظهر من مظاهره، إلا أنها تنحاز من سائر المظاهر بكونها لم تسعى مبدئياً إلى محاولة التوفيق بين التراث والبحث اللغوي الغربي الحديث، لأن ما هم اللسانيين كان اقتراح نموذج للدراسة اللغوية، يختلف عما ورثناه عن اللغويين القدامى ويستعين في إجراءاته بمنهج البحث اللساني الحديث. إلا أن هذا المسعى سار فيها بعد إلى ما أسميناه بالتوفيق بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الغربية"²، وممن قدموا تجارب رائدة في حقل الدراسات اللسانية العربية "وكانت جهودهم بمثابة ركيزة لهذه الدراسات نذكر اللسانيين العرب من أمثال ، إبراهيم انس ، تمام حسان ، عبد الرحمان الحاج صالح وغيرهم، فقد كان جهود هؤلاء من أبرز الجهود وأوفرها إسهاماً في صياغة الخطاب اللساني العربي"³ وفي ضمن هذه الجهود يركز بحثنا على ما تطرق إليه بعض اللسانيين العرب حول ما يسمى بثنائية اللغة و الكلام و ما قدموه عن هذه الثنائية .

أولاً: اللغة والكلام عند تمام حسان (1918م 2011م):

يعد تمام حسان من أبرز و أشهر اللغويين العرب اللذين أثروا الساحة اللغوية العربية بأهم الأعمال و المجهودات " ولم يخفى تأثيره الظاهر بمعطيات اللسانيات الغربية من مناهج ونظريات فقد كان منكبا على الدراسات الوصفية و تبني المنهج الوصفي في دراساته اللغوية ، و نجد كتابة المعنون ب"اللغة بين المعيارية و الوصفية " الذي صدر عام 1958م نقطة انطلاق توجهه التحليلي ، و كان قد ألف قبل هذا الكتاب عملاً آخر عنوانه ب: "مناهج البحث

¹المرجع السابق، ص74

²فاطمة الهاشمي، نشأة الدرس اللساني العربي، ص03

³المرجع نفسه، ص09

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

في اللغة " وصدر عام 1955م وفيه اعتمد على أسلوب خاص في شرح المنهج الوصفي يجمع بين (نماذج لغوية فصحي و أخرى عامية)، و أخرى (نماذج لغوية أجنبية بحجة أن هذه الطريقة أوفى في بسط إجراءات المنهج الوصفي في اللغة العربية و أقربها للشرح و التحليل الوصفي العميق" ¹، و من أهم ما اظهره "تمام حسان في توجيهه المعرفي و المنهجي و النظري" ² وفي دراسته الثانية بصفة عامة الفروق الموجودة بين اللغة و الكلام يقول تمام حسان " في كتابي مناهج البحث في اللغة كلام مطول عن الفرق بين الكلام و اللغة يستغرق ما يقارب من ثلاثين صفحة كاملة وفي كتابي اللغة بين المعيارية والوصفية اشتملت مقدمة الكتاب على عبارات تفرق بين عمل المتكلم وبين طابع عمل اللغوي يمكن أن نوردها فيما يلي : اللغة إذا بالنسبة للمتكلم معايير تراعى ، و بالنسبة للباحث ظواهر تلاحظ وهي بالنسبة للمتكلم وسيلة حياة في المجتمع و بالنسبة للباحث وسيلة كشف عن المجتمع". ³

تحدث تمام حسان في كتابه "مناهج علم اللغة" عن ثنائية اللغة والكلام، كما أنه أضاف مصطلحا آخر فرقه عنهما وهو اللغة المعينة، " حيث استند في ذلك لما قدمه سوسير حول الموضوع، إذ يقول تمام حسان " إنّ دي سوسير قد خلق للغة منهجا شكليا تركيبيا مبني على وجهة نظر دوركايم يمكن إلى علم الاجتماع، وفي هذا المنهج يفرق دي سوسير بين ⁴

__ اللغة (بالمعنى الأعم أي الظاهرة الاجتماعية) la langue .

- الكلام (وهو النشاط العقلي الصوتي الفردي) la parole .

¹ - عبد الرحيم البار، مظاهر الفكر اللساني الغربي في اللسانيات العربية الحديثة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي بتمنراست، الجزائر، 2014، العدد السادس، ص 197

² - المرجع نفسه، ص 197

³ - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 32

⁴ - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص13

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

وهذا إن دلّ إنما يدل على تأثر تمام حسان بالمنهج البنيوي الوصفي في تحليله لقضية اللغة والكلام والعديد من القضايا اللسانية الأخرى.

فيقول تمام حسان: " أن اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تقع في مجال علم الاجتماع كما تقع في مجال علم اللغة و لها جانبان من جوانب الدراسة أحدها اللغة المعينة و ثانيهما الكلام"¹، إذ يقصد باللغة المعينة تلك المجموعة من العلامات المختزنة في العقل الجمعي و لا تنطق كونها فردية.

1 اللغة عند تمام حسان:

فاللغة عند تمام حسان " ملكة أو طاقة أو استعداد أو سمها ما شئت ولكن اللغة المعينة نتاج جمعي لهذه الملكة ومجموعة من حالات التعارف الضرورية كيفية اجتماعيا لتسمح بالعمل للملكات الفردية"². فاللغة إذا تبنيت على ملكة في طبيعتها أما اللغة المعينة فهي مكتسبة ومتعارف عليها.

وتمام حسان يؤكد الوظيفة الاجتماعية للغة بقوله " أن المرء يستطيع فهم الأجهزة الفرعية في الجسم مستقلا بعضها عن بعض في الذهن لا في الحقيقة يمكن أن يفهم المرء الأجهزة الفرعية في اللغة فرادى، مع أن وظائفها لا تتحقق عمليا إلا والأجهزة متناسقة متكاملة متكافلة في إطار اللغة فلا يقوم جهاز منها مستقلا عن بقيتها إلا في مقام الوصف والتحليل. كما أن وظيفة الجسم الإنساني هو تحقيق الوجود البيولوجي للفرد نجد وظيفة اللغة تحقيق الوجود الاجتماعي للفرد نفسه "³، وهذه إشارة لأهمية اللغة في تحقيق الترابط الاجتماعي ووجود الفرد، "وهي الأداة الوحيدة التي تمكن الفرد من الدخول في نطاق المجتمع الذي يعيش فيه"⁴، ولولاها لظل الفرد حبيس العزلة الاجتماعية . كما

¹ - المرجع السابق ص 31

² - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ص 33

³ - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 33، 34

⁴ - تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ط4، القاهرة، 2000م، عالم الكتب، ص 17.

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

يقول تمام " أن الدراسات اللغوية ليست إلا مجموعة متناسقة متكاتفة متلاحمة من المناهج الفرعية لتناول الأحداث اللغوية منطوقة أو مكتوبة و لقد وضعت هذه المجموعة من المناهج لتصل بنا إلى علاج اللغة علاجا منظما أمبركاليا تحليليا، بمعنى أنه لا يتخذ نقطة لبداية في أي علم غير علم اللغة نستطيع أن نسمي هذا المنهج شكليا أو وظيفيا ووجهة النظر الوظيفية لم تختبر اعتباطا و إنما جاءت من أن اللغة تستخدم وسيلة من وسائل الاجتماع و أداة ذات غرض محدد"¹، فاللغة إذ تؤدي وظيفة اجتماعية، و المناهج المتبعة كانت لغرض دراسة الوظائف الاجتماعية للغة

وأضاف تمام حسان " فاللغة إذن عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة (وقد سميناها من قبل بالأجهزة) يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني تقف بأرائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المباني المعبرة عن هذه المعاني"²، فاللغة إذا منظمة اجتماعية عرفية قوامها عدد من الأجهزة التي تمثل في نظر المتكلم معايير معينة.

ويقول في شأنها أنها " تضم في دائرتها وحدات ذهنية يستطيع المتكلم بمساعدتها أن يستعمل علامات الكلمات ولكن المعرفة بهذه الوحدات الذهنية ليست بنت الأمس أو اليوم، بل ترجع إلى أيام الطفولة فمحصلونا من الكلمات يتزايد يوما بعد يوم، ويزداد مع بعض الكلمات سعة كما كان"³؛ أي أنها تكتسب منذ الطفولة ويبقى هذا الرصيد اللغوي يتزايد يوما بعد يوم فكل كلمة تضاف هي وحدة من وحدات هذه اللغة.

¹ - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 69

² - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 34

³ - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ص 39

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

"وجوهر اللغة يتلخص في أنها تخصص رموزا صوتية للعناصر المختلفة للتجارب وهذه الرموز يجب أن تكون مخصصة بحسب التعارف، لا بحسب الطبيعة والمنطق"¹، أي أن العلاقة بين الكلمة ومدلولها علاقة اعتباطية.

2 _ الكلام عند تمام حسان:

يعتبر تمام حسان الكلام بمثابة " نشاط إنساني تثيره عوامل من الخارج هذه العوامل هي نواة الشيء المقصود ويمكن إطلاقه على عمليات النطق التي يقوم بها المتكلم منظورا إليها من زاوية السامع وخصائص الكلام بهذا المعنى تتخلص في أنه يتصل بظروف خاصة و سامع و شيء مقصود، وأنه نتيجة لإرادة المتكلم الذي تبنى أعماله النطقية علامات الكلمات المستعملة وتمنحها حيوية لم تكن لها في الظروف الأخرى"² أي أنه يحتاج إلى اثنين من الممثلين و خاص و شيء مقصود و إلى كلمات معينة.

ويقول أن الكلام "أداء نشاطي طبقا لصورة صوتية ذهنية يدرس عن طريق منهج الأصوات ، إذ يمثل التطبيق الصوتي و المجهود العضوي الحركي الذي تنتج عنه أصوات لغوية معينة ، وهو وظيفة الفرد المتكلم *sujet parlant* والتنفيذ الفردي والاستخدام الشخصي للغة"³ أي أنه عمل فردي يشمل ما ينطق الفرد أو يكتبه و يضيف تمام حسان " إذا كان الكلام لا يدرس منفصلا عن اللغة إلا عند اعتباره عملا صوتيا بحتا مقطوع الصلة بالمعنى فإن الدراسة اللغوية للكلام تجعله حتى على هذا المستوى الصوتي ، على صلة باللغة و لا بد أن يكون كذلك من حيث قصد به أن يدل على معنى"⁴ فبالرغم من اختلاف اللغة عن الكلام إلا أن صلتها ببعض قوية جدا .

¹ - المرجع السابق، ص 55

² - ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة

³ - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ص 33

⁴ - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 35

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

" والكلام ليس فيه ما هو جمعي، وكل ما فيه شخصي سوي " ¹ وهذا تأكيد تمام حسان للتأدية الفردية للكلام

3 _ الفرق بين اللغة والكلام عند تمام حسان:

فرق تمام حسان بين اللغة و الكلام من خلال قوله " فالكلام عمل و اللغة حدود هذا العمل ، و الكلام سلوك و اللغة معايير هذا السلوك و الكلام نشاط و اللغة قواعد هذا النشاط و الكلام حركة و اللغة نظام هذه الحركة و الكلام يحس بالسمع نطقا ، والبصر كتابة و اللغة تفهم بالتأمل في الكلام الذي نقوله أو نكتبه كلام، والذي نقول بحسه و نكتب بحسه هو اللغة، فالكلام هو المنطوق و هو المكتوب و اللغة هي الموصوفة في كتب القواعد و فقه اللغة و المعجم و نحوها ، و الكلام قد يحدث أين يكون عملا فرديا ، و لكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية " ² و مما سبق نستنتج أن تمام حسان استطاع تحديد الفروق الجوهرية بين اللغة و الكلام و تمكن أيضا من تحديد وظيفة كل منهما في العملية التواصلية.

ثانيا: عبد الرحمان الحاج صالح و اراؤه في اللغة و الكلام 1927 – 2017 م :

ظهرت البحوث اللسانية العربية بعد تعرفهم على منتجات الثقافة الغربية في مجال اللسانيات " فسعى الباحثون إلى النظر في القضايا اللغوية للعربية في صورتها المعاصرة ، و من ثم مقابلتها بالصورة التي وصفتها بها مؤلفات اللغويين القدامى ، كما ظهرت أعمال اطلعت على مستجدات البحث في الغرب و المفاهيم التي توصلت إليها، من خلال وصف اللغات الأوروبية، فحاولت مقابلة ذلك بتأكيد أصالة الفكر العربي، وأن ما جاء في كتب التراث من آراء لغوية كان عربي الهوية و يصف قضايا لغوية عربية، ورفض أصحابها ما اعتبروه ادعاءات بتأثر الفكر العربي بالمنطق اليوناني فاستطاعوا بذلك ردّ الاعتبار للدراسات اللغوية العربية و أعادوا تقديم مفاهيمها في حلة جديدة تحاول

¹ المرجع نفسه، ص 35

² - تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص 32

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

الاستجابة للروح العلمية التي تميز بها الفكر اللغوي الإنساني الحديث¹ ونجد من سعى في هذا الطرح " عبد الرحمان الحاج صالح"، حيث يعتبر بمثابة " تجربة رائدة لخدمة اللغة العربية بين جميع مستوياتها و مختلف علومها اللغوية، وعلمها من أعلام الدرس اللساني المعاصر الذي سعى جاهدا لإعطاء التراث العربي حلة جديدة في قالب علمي ممتع ومميز"²، كما سعى كل السعي لأجل وضع نظرية لسانية عربية، وفق مناهج علمية محضة تواكب روح العصر، و تضاهاي ما توصل إليه الغرب فكانت له إسهامات و مشاريع رائجة، في مجال اللسانيات أو الدرس اللساني العربي "جعلت مشاريعه الأوصياء على الشأن العربي، يتبنون أفكاره ويعملون على تجسيدها في خطط"³ وذلك لغاية وهي النهوض بالبحث اللساني عند العرب وتجاوز حالة الركود التي كان يعيشها.

1- الوضع للدلالة على الكلام :

ولعل أهم ما ميز فكر هي:

ثنائية الوضع والاستعمال، إذ تعد من أهم القضايا اللغوية العربية قديما وحديثا والتي شغلت أفاقا واسعة في الدراسات اللسانية المعاصرة ثم إن " الملاحظ لقضيي الوضع والاستعمال يجد أنهما يتقطعان والبحوث اللغوية العربية بما يعرف اللغة و الكلام فالأولى نظام جماعي مشترك متواضع عليه و الثاني أداء فردي، متمايز من فرد لآخر"⁴، كما أنها في الوقت نفسه ثنائية "تضرب جذورها في التراث العربي القديم حيث جعلوا من الوضع كل ما يخص اللفظ الموضوع

¹ - عبد الحليم معزوز، تأصيل اللسانيات عند تمام حسان وعبد الرحمان الحاج، ص 199

² - أمينة جنحي، صلاح الدين زرال، ثنائية الوضع والاستعمال عند عبد الرحمان الحاج صالح، مجلة القارئ للدراسات الأدبية واللغوية والنقدية، الجزائر، 2012، المجلد 04، العدد 04، ص 402

³ - محمد غاين، إسهامات الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في ترقية المصطلح اللساني العربي مجلة الوقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا 2011م، عدد 486، ص 114.

⁴ - أمينة جنحي، صلاح الدين زرال، ثنائية الوضع والاستعمال عند عبد الرحمان الحاج صالح، ص، 412

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

للدلالة على معنى من جهة أخرى ما هو راجع الى استعمال هذا اللفظ وتعني الأغراض¹؛ أي أن النحاة العرب تمكنوا من التمييز بين مستويين من اللغة ما هو راجع للوضع و ما هو راجع للاستعمال، يقول الحاج صالح: فنظرهم إلى الوضع معزولاً، تمكنوا من إيجاد الجامع أي عما يجمع بين أفراد الجنس، بل بالنظر في هيئتها وزنتها²، هذا بالنسبة للوضع أما فيما يخص الاستعمال فقد ربطه الحاج صالح " بمنطق الدلالة عمما الذي مجال البلاغة"³، فيقولون ونظرهم إلى الاستعمال تمكنوا من دراسة دلالات الألفاظ و التراكيب بحسب السياق لكن بمراعاة المعاني الوضعية ثم ينظر الباحث في تحولها حسب ما يقتضيه العقل في ذاته كدلالة المعنى أو حال الخطاب يأتي دور المنطق الدلالي ومنطق التبليغ، و هو ميدان سماه علماءنا بالبلاغة و البيان في أقدم أساميها⁴. فالحاج صالح من خلال تتبعه للمفاهيم التي استخدمها الرعيل الأول من النحاة العرب، لاحظ أنهم كانوا أكثر اهتماماً بالاستعمال الحقيقي للغة مقارنة بالمتأخرين ذلك من خلال رصدهم فروقات المتكلمين في مختلف الأوضاع اللغوية

فالوضع " هو مجموعة منسحبة من الدوال و المدلولات ذات بنية عامة ثم بنى جزئية، أي ما يشبهه العقل من انسجام و تناسب بين العناصر اللغوية و علاقتها الرابطة و بين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريقي أو توليدي (من الأصول إلى الفروع)"⁵، أما الاستعمال فهو " كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب المتكلم ما

¹ _المرجع السابق، ص402

² - عبد الرحمان الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، ص 37

³ - فتيحة لعلاوي، الوضع والاستعمال عند الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح من خلال كتابه الخطاب، ص02

⁴ - عبد الرحمان الحاج صالح، المدرسة الخليلية ومشاكل معالجة أعربية بالحاسوب، 1989م، بحث التخاطب ألقى في مؤتمر الحاسوبية بالكويت، ضمن كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ص 262.

⁵ - عبد الرحمان الحاج صالح، أثر اللسانيات في النصوص بمستوى مدرسي اللغة العربي، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1973م، ع4، ص 26.

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

يحتاجه من الدوال للتعبير عن أغراضه فيميز بين ما هو راجع إلى القياس و بين ما هو راجع إلى الاستعمال " 1 فاستطاع بذلك التمييز بين الوضع والاستعمال وبالتالي ميز أو قام بالفصل بين اللغة والكلام " فلقد ربط الأستاذ الحاج صالح الفعل كحدث بالكلام كما ربط اللغة كنظام من الأدلة بالوضع " 2 من قول النحاة و خاصة سيبويه " أعلم أن الفعل أنها يذكر ليدل على حدث ... وفيه بيان على ما مضى وما لم يمض منهن كما أن فيه استدلالات على وقوع الحدث إذ قال: ذهب أو قعد علم أن للحدث مكانا وإن لم يذكره كما علم انه كان له ذهاب " 3 فالفعل حسب الحاج صالح مرتبط بحدث معين، وهذا شرط ضروري لحصول الفعل.

بالنسبة للكلام " كاسم مصدر لفعل تكلم فهو حدث، و هو الآخر لا بد أن يكون له زمان ومكان معينان " 4 وهذا إن دل إنما يدل على أنه قام بالتمييز بين الكلام كفعل والكلام كحدث، فيقول الحاج صالح في هذا الصدد: " وبهذا يفترق الكلام كفعل وكحدث عن الجهاز الذي يستعمله المتكلم وهو اللغة، إذ هو أداة لتبليغ الأغراض وبما أنها نظام من الأدلة المتواضع عليها لا تراد لذاتها ، بل للانتفاع بها كأداة تبليغ " 5، وقد تطرق لمثل هذه الفكرة في موقف آخر " والمتعلقة باللغة كنظام مستقل بذاته من حيث الوضع من جهة و كأدلة ضمن عملية التبليغ والتداول والإفادة " 6 فيقول بذلك ، " فالنظام المنطقي غير النظام اللغوي الذي خلق للإفادة أي لتبليغ أغراض المتكلم المستمع communication فهو آلة للتبليغ جوهرية نابع لما وليّ من أمر الإفادة ، فهو إلى قوانين فن المواصلات أقرب

1- المرجع السابق، ص 04

2- فتيحة لعلاوي، الوضع والاستعمال عند عبد الرحمان الحاج صالح من خلال ثنائية الوضع والاستعمال للخطاب، ص 285

3- سيبويه عمر بن عثمان، الكتاب، ج1، ص15

4- عبد الرحمان الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص 43

5- المرجع نفسه، ص 43

6- فتيحة لعلاوي، الوضع والاستعمال عند عبد الرحمان الحاج صالح من خلال ثنائية الخطاب والتخاطب، ص 259

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

منه إلى قواعد المنطق " ¹، فتقول الباحثة فتيحة لعلاوي " كما نجد - الحاج صالح - يتعمق في نص الفكرة من خلال التمييز الذي نراه تميزاً مبنياً على منطق القدامى من النحاة، لما يتسم به من الموضوعية المبنية على أسس المنهج العلمي الذي يتوخى في تحليل الأشياء مبدأ الاستدلال قصد الوصول إلى نتائج حتمية ²، إذ يقول الحاج صالح " فالكلام حدث و الأحداث هي أشياء جزئية لأنها تدرك بحاسة السمع كالأصوات فكل حدث خصوصية، أما اللغة فهي من الكليات لأنها غير مدركة بالسمع كوضع كما أنها ليست حدثاً، بل هي أداة مهيأة للاستعمال في كل الأوقات وكل الظروف " ³، و من خلال ما قدمه الحاج صالح مستنداً في ذلك كما قدمه العرب القدامى يظهر لنا " التمييز الذي أشار إليه سوسير الحاصل بين اللغة والكلام، فاللغة من حيث هي كليات غير مدركة بالسمع بمفهوم سوسير الموجودة في الأذهان التي يصطلح عليها بـ "الشكل" Formè و "الكلام" هو التأديت المختلفة لتلك اللغة Les diverses performances linguistique، و منه فهذا التمييز يندرج في إطار لسانيات الجملة لأنه من الضروري الإنطلاق من البنية الصغرى للكلام لتمييز ما هو أكبر من هذه البنية، كي يكون التحليل العلمي لعملية التخاطب سليماً مبنياً على أسس علمية ⁴، و من أعمال الحاج صالح يتضح جهده و مبادرته في حصر كل المفاهيم المندرجة تحت ثنائية الوضع و الاستعمال .

" و على هذا يمكن تمثيل هذا التصور الذي يراه الحاج صالح فيما يتعلق هذه الثنائية ⁵، و نتيجة كما سبق فإن الثنائية الاصطلاحية للوضع و الاستعمال وجهان لعملة واحدة يقتضي كل منها نظام محدد و جماعة لغوية معينة لها

¹ - الحاج صالح، النحو العربي و منطق أرسطو، مجلة كلية الآداب، 2005م، جامعة الجزائر، مجموع ضمن كتاب و بحوث في اللسانيات العربية، عدد 01 ص 50

² - فتيحة لعلاوي، الوضع و الاستعمال عند عبد الرحمان الحاج صالح من خلال ثنائية الخطاب و التخاطب، ص 259.

³ - الحاج صالح، النحو العربي و منطق أرسطو، ص 50

⁴ - فتيحة لعلاوي، الوضع و الاستعمال عند الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح من خلال كتابة الخطاب و التخاطب، ص 259

⁵ - المرجع نفسه، ص 260

الفصل الثاني اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث

أفاق واسعة في الدرس القديم و الحديث ، ربما ما جعلها ذات أهمية ، و أكثر قابلية للبحث من وجهة نظر حديثة كما يتجسد من خلالها "منهج النظرية العربية للحاج صالح في التأكيد على التمسك بالتراث العربي الأصيل الذي بني على دراسة اللغة كوسيلة للحفاظ على القرآن الكريم المنزل باللفظ العربي المبين وبالتالي فهو نظام صالح لكل زمان ومكان"¹ واستطاع أن يؤكد من خلال أعماله ودراساته اللغوية على أن التراث اللغوي عند العرب ذو قابلية للتحديد والتحديث وذلك باستغلال معطيات اللسانيات في إحيائه والنظر إليه نظرة علمية ومن ثم إخضاعه لما يتطلبه الواقع اللغوي .

¹ - أمينة جنحي: صلاح الدين زرال، ثنائية الوضع والاستعمال عند الحاج صالح من خلال كتابه الخطاب والتخاطب، ص

مقابلة اللغة و الكلام بين القدماء و المحدثين

● مقابلة بين علماء العرب القدامى واللسانيين الغرب المحدثين في قضية اللغة والكلام:

إنّ قضايا الفكر اللساني العربي عديدة و عميقة و واسعة ، " قد تجسدت في مسائل لغوية كثيرة اندرجت ضمن مجالات صوتية و تركيبية و بلاغية و تداولية ، إذ مثلت هذه الجهود الجذور اللسانية في التراث العربي و تجلّى ذلك في جهود كل من الخليل بن احمد الفراهيدي ، و سيبويه ، ابن جني، وغيرهم و تعد جهودهم منارة إشعاع فكري ولغوي، ولقد اطلع اللغويون الغربيون على الجهود العربية القديمة و تأثروا بها " ¹ كما استفادوا منها في تأسيسهم لنظرياتهم اللسانية و دفعوا بعجلة تطور البحث اللساني، وهنا محاولة لرصد ظاهرة لسانية متمثلة في اللغة والكلام قديما وحديثا (موازنة)

أولا: مقابلة الخليل وسيبويه مع دي سوسير وتشومسكي:

يقول محمد سعيد صالح ربيع الغامدي في مقال له: " لا أدعي الإتيان بجديد إن قلت: إن المصطلحات الأربعة التي سبق الكلام عليها "اللغة و الكلام" السوسريين و"الكفاءة و الأداء" التشومسكيين ، ربما أن مفاهيمها جميعا على ما يهتمها في التسمية، ترجع إلى الإحالة على مستويين للغة، أحدهما مثالي متصور في الذهن ، و الآخر واقعي منحز على اللسان ، تلتقي مع التصور النحوي الذي يبني على ما يعرف عند النحاة بالتقدير أي ما يقدر بتقديم أو تأخير أو حذف أو زيادة . الخ ، مما قد يعبر عنه خير تعبير بالتمييز نحويا بين القاعدة والاستعمال أي ما تقدره القاعدة مخالفا بوجه ما من الوجوه ما يظهر في نماذج الاستعمال " ² ، فهناك العديد من الباحثين من لاحظ هذا وأدلو برأيهم حول الموضوع .

¹ - شموخ حفرة، بنية الجملة بين الجرجاني ودي سوسير وعبد الرحمان الحاج صالح، مجلة اللغة العربية، المجلد 24، العدد 2، السنة الثلاثي الثاني، 2022، ص 922.

² - محمد سعيد صالح ربيع الغامدي، اللغة والكلام في التراث النحوي العربي، عدد 3، ص 05

يقول شكري عياد: " إوذا كان التميز بين اللغة والقول في تعليم سو سير فكرة من هذه الأفكار المحورية، ويمكن أن تدرج بسهولة تحت التميز بين القاعدة والاستعمال كما تدرج تحت العنوان نفسه فكرة مشهورة أخرى للعالم اللغوي المعاصر نعوم تشو مسكي أي تفرقة بين الحضارة والكفاءة في مجال اللغة، ومن هاتين الفكرتين انطلقت معظم الدراسات الأسلوبية المعاصرة فإننا نجد لدى سيوبه تفرقة مماثلة¹ وما يجب معرفته هنا أن شكري عياد من اللذين فهموا الفرق بين دراسات النحاة الأوائل ودراسات المتأخرين.

ثانيا: مقابلة بين أعمال النحاة العرب وأعمال اتجاه النحو التوليدي:

قال عبد الحكيم راضي: " ومن أجل إثبات هذه المثالية والمحافظة عليها قام النحو العربي بما يشبه صنع المحدثين من أصحاب النحو التوليدي التحويلي في تصورهم لوجود بنية عميقة Deep.structure مثالية كامنة وراء كل بنية سطحية Surface strcture"² وبالتالي فإن محاولات التحليل أي؛ علل النحاة المشهورة والقياس والتقدير ليت ببلاد " إجراءات صناعة في سبيل المحافظة على هذا التصور"³.

كما يشير محمد سعيد صالح الغامدي إلى ما قاله " حمزة المزيني"، الذي يعد مختصا بالدراسات اللسانية التوليدية في الصلة بين بحوث جيل النحاة الأوائل و بحوث اللسانيين المحدثين "لكن الصورة التي يمثلها كتاب سيوبه هي الدليل الأوضح على أن النحو العربي في بداياته لم يكن معياريا خالصا بل كان ألصق ما يكون بالتّظير اللساني الحديث وقد اكتشف المتخصصون في اللسانيات الحديثة، وبخاصة اللسانيات التوليدية هذا الفن النظري في النحو العربي المبكر وهو ما أدى هؤلاء إلى القول بأن النحو العربي في صورته تلك يتشابه مع الدراسات اللسانية الحديثة إن لم

¹ - عياد شكري، قراءة أسلوبية في كتاب سيوبه (منشور في ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي) أعمال ملتقى قراءة التراث النقدي، جدة النادي الأدبي، 1409 هـ، ص 24

² - راضي عبد الحكيم، نظرية اللغة في النقد العربي، القاهرة، 1980 م، مكتبة الخانجي، ص 204

³ - محمد سعيد صالح الغامدي، اللغة والكلام في التراث العربي، ص 67

يتمثل معها في الأهداف وفي طريقة البحث وفي الوصف والتميز"¹، بالإضافة إلى كثيرين منهم أكدوا على الشبه الكبير بين الجهود العربية و اللسانية الحديثة "منهم جوناثان أوين الذي يؤكد أن جهود العرب الرائعة لم تقدر بما تستحقه في الغرب إلى مع التقاليد البنيوية التي أتى بها سو سير و بلومفيد وتشومسكي"² وغيرهم من العلماء .

ثالثا: مقابلة بين ابن جني ودي سو سير:

وصف ابن جني اللغة من خلال جعلها أصوات يعبر بها كل قوم عن أفكارهم "لم يقل أن الألفاظ ألفاظ أو كلمات إنما قال أصوات speech sound و أصوات أشمل و اعم و هو المصطلح المستخدم في علم اللغة الحديث، وعلم الأصوات phonetics من أحدث علوم اللغة، والفونيم هو أصغر وحدة صوتية فالحرف فونيم"³ أي فرق الصوت عن الكلمة و عن اللفظ، واعتبر اللغة وسيلة يعبر بها كل قوم عن أعراضهم " فهو تقرير للوظيفة الاجتماعية و المعرفية و التواصلية للغة، ووظيفة اللغة هذه لا خلاف عليها و هي من البداهة أنها ليست في حاجة إلى التدليل "⁴

¹ - المزيبي حمزة، مراجعات لسانية (الجزء الثاني) كتاب الرياض، عدد 75، 2000م، ص 303، 306.

² - محمد سعيد صالح الغامدي، اللغة والكلام في التراث النحوي العربي، ص 06

³ - ينظر: عبد المنعم عجب ألفيا، علم اللغة بين ابن جني وسوسير، نشر في الراكوبة، 25.03.2012

⁴ - المرجع نفسه.

ولا يعد تعريف دي سو سير للغة أبعد مما ذهب إليه ابن جني ورفاقه: A language is a System

"Of

signes exepressing ideas"¹

أي "اللغة نظام من العلامات أو الإشارات للتعبير عن الأفكار"²، ويضيف أن اللغة مؤسسة اجتماعية.

كما أن الكلام حسب ابن جني " هو الألفاظ المنطوقة ولا بد أن يتوفر فيه شرط الإفادة ولا يتحقق ذلك إلا في

الجملة التامة مما يعني أن وحدة الكلام الأساسية هي الجملة"³ وبالتالي فإن ما تطرق إليه ابن جني يتم مع ما توصل

إليه المحدثين، إذ أن دي سو سير أيضا كانت له نفس النظرة.

فكما سبق القول أنّ الكلام عند سو سير "هو ما ينطق به الناس فعلا وفقا لنظام اللغة، فإذا أضيف إلى تعريف ابن

جني بملاحظة الذكية من أن العربي كان يتأمل مواقع الكلام وأنه_الكلام_ لم يكن استرسالا لأدركنا معرفة هذا

العالم العربي بأن الكلام إنما هو تطبيق عملي لنظام اللغة وليس "نظام" سوي التعبير الحديث عما سماه ابن جني

بمواقع اللغة"⁴ فيدرك من خلال هذا أن الكلام لا يفهم إلا إذا كان شرط اللغة أو بعبارة حديثة متفقا مع نظام

اللغة وهذا يعني أن اللغة شيء والكلام شيء آخر إذ هو بمثابة التطبيق العملي له.

وليس القصد من هذه الموازنة المقارنة التفضيلية بين نظريات علم اللغة الحديث وما توصل إليه علماء العرب

الأوائل من معارف في اللغة وعلومها، "فالمعارف تكتسب من خلال تقدم العلم وتراكم الخبرات المعرفية وتطور

F.de Squassure.cours in général. 3 linguistique.translated by Roy Horris

Duckworth.London.1998¹

² ينظر: عبد المنعم عجب ألفيا، علم اللغة بن ابن جني و سوسير .

³ - نجم الدين عبد الصفا، بين اللغويين العرب واللغويين العرب حول مفهوم اللغة والكلام، ص 09

⁴ - المرجع نفسه، ص 10

مقابلة بين علماء العرب القدامى واللّسانيين الغرب المحدثين في قضية اللغة والكلام

وسائل البحث عبر الزمن وإنما القصد الإشارة إلى قدرة علماء اللغة العربية القدامى على النفاذ إلى دقائق مسائل العربي القديم، أو بالأحرى امتداد له ودليل ذلك تمام حسان وعبد الرحمن الحاج صالح المفكران اللذان مرا ذات يوم بهذه الدنيا ومضيا، ولكن يقين أفكارهما والمنهج التي استخدمهما راسخة اللغة ومقاربة قضايا هي من صميم اختصاص علم اللغة الحديث¹.

ومنه نقول أنّ اللسانيات العربية وبحوثها الحديثة ما هي إلا استثمار للدّرس اللساني العربي واقتباس من الدّرس اللساني.

¹ - ينظر: عبد المنعم عجب الفيا، علم اللغة بين ابن جني وفردنا دي سوسير.

الخاتمة

الخاتمة :

وفي ختام هذا العمل الذي سهرت فيه على البحث الجاد و المتواصل إلى حقيقة أن العرب القدامى قد كان لهم تفكير لساني وهذا التفكير قد بلغ تألقه في القرون الأولى للهجرة ، واتضح هذا أكثر مع بحثنا في تلك المفاهيم الثنائية ' اللغة والكلام ' التي سادت الدرس اللساني الحديث التي وجدنا لها نظير ونفس الأفكار ونظرة المحدثين لها عند العرب القدامى، فالدرس الغربي الحديث ما فتئ يقتبس من التراث العربي القديم سواء أقر بذلك علماءه أم لا، وسواء فعلوه أم لا، وقد سبق علماء العربية الأوائل في ميادين شتى ونحن لا ننكر حسن الصياغة والدراسة، وكذا التعمق والدقة في الدراسات الحديثة فهو أمر بديهي بأن يزيد اللاحق على السابق ، فالتفكير اللساني الحديث ما هو إلا امتداد لتفكير الخليل و سيبويه وابن جني وابن خلدون وغيرهم، كيف لا وهم من أعظم العلماء الفطاحل الذين غاصوا في اللغة وتعرضوا على كامل أسرارها وتطرقوا لجميع مستوياتها، فلم يتركوا غامضا إلا فسروه ولا بابا إلا وطرقوه، وفي الأخير نتوصل إلى مجموعة من النقاط نلخصها فيما يلي:

- التفكير اللساني عند العرب نشأ مرتبطا بالدرس القرآني وخدمة كتاب الله.
- تمكن كل من سيبويه والخليل من تجسيد مفهومي " اللغة والكلام " فيما سموه بالوضع والاستعمال
- ابن جني تحدث عن اللغة بأنها أصوات، والكلام على أنه قول.
- جعل ابن الخفاجي اللغة مواضعة، والكلام جملة.
- تمكن علماء اللسانيات الحديثة من استنتاج تلك المفاهيم النظرية التي قام عليها علم اللغة، من دراستهم للوقائع اللغوية ووصف اللغات وصفا علميا دقيقا، فكانت هذه المفاهيم نابعة من متسع المادة المدروسة بعد تأمل طويل وتفكير عميق.

- عمل دي سوسير على ترسيخ فكرة الثنائيات اللسانية، منها " اللغة والكلام " كمنوال إجرائي لدراسة اللغة دراسة علمية في ذاتها ولذاتها والكشف عن نظامها القائم على علاقات تحكم عناصره بحيث تتحد قيمة كل عنصر عن علاقاته بالعناصر الأخرى.

- أكد أندري ماريي ينة على التصور الثنائي في دراسة اللغة بوصفه مفهوم التقطيه المزدوج في إطار دراسته التحليلية للتركيب اللغوية وإن غير المصطلحات الدالة على تلك المفاهيم.

- حدد تشومسكي الوظيفة الأساسية للسانيات بوصف وتفسير القدرة الذهنية الكامنة في الإنسان والتي تمكنه من اكتساب اللغة وإبداع جمل جديدة، بمراعاة الجانب النفسي للمتعلم.

- اتبع كل من تمام حسان والحاج صالح المنهج الوصفي البنيوي لكن ليس بدون العودة للتراث العربي القديم فأسهموا في ترسيخ مفهوم الثنائية ومبدأ نظامية اللغة من خلال التوفيق بين القديم والحديث.

وأخيرا فإنني لا أدعي تمام البحث في هذا الموضوع وسد التغيرات فيه، فقد تظهر نقائص في هذا العمل لم أنتبه إليها، ويبقى باب الاجتهاد مفتوحا لاستكمال البحث وتحميل فائدة منه.

أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم عمل علمي يعود بالفائدة على القارئ والحمد لله الذي أعانني بفضله على إنجاز هذا العمل.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب والمراجع:

- أبو الحسين الخياط، الانتصار، تح: تييرج، القاهرة، 1925 م، دار الكتب المصرية .
- أبو الحسين الملقبي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح: محمد ساهد الموثري، بيروت، 1968 م، مكتبة المعارف.
- أبو نصر الفارابي، احصاء العلوم، تح: عثمان أمين، ط3، القاهرة، 1968 م .
- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفصل ابراهيم، ط2، بيروت، 1419 هـ، المكتبة العنصرية .
- الفروق اللغوية، تح: محمد ابراهيم سليم، القاهرة 1997 م، دار العلوم و الثقافة .
- أحمد كشك، اللغة والكلام، القاهرة، 1955 م، مكتبة النهضة المصرية .
- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط1، 2008م، دار الفكر .
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط2، مصر، 1988 م، علام الكتب .
- أحميدة العوي، التعليم المفيد عند ابن خلدون في مقدمة كتابه ط، بيروت، لبنان، 2015 م، دار الكتب العلمية .
- أندري مارتينه، مبادئ اللسانيات العامة، تر / أحمد حمو، دمشق 1404، 1405 هـ .
- ابن جنى، الخصائص، تر: محمد على النجار، ج2، مصر، 1955م، دار الكتب المصرية .
- ابن مالك، ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية .
- ابن السراج، الاصول في النحو، تح: عبد الحسين العقلي، ط3بيروت 1996 م، مؤسسة الرسالة، ج1 .
- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح: علي فوده، ط1 مصر 1936 م، مكتبة الخانجي .
- ابن فارس، الحاجي في فقه اللغة، تح: أحمد صقر، دت، القاهرة، مطبعة الحلبي .
- ابن قدامة المقدسي، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، 2001 م، دار القلم .
- ابن يعيش، شرح المفصل، ادارة الطباعة، الميزنية، ج1 .
- الاسترباندي محمد بن الحسين، شرح الرضة الكافية ابن حاجب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، سعودية .

قائمة المصادر والمراجع

- بوحوش رابح ، اللسانيات وتحليل النص ، ط1 ، الأردن ، 2007 م ، عالم الكتاب الحديث للنشر و التوزيع .
- تونيس شاهين ، دراسات لغوية ، عوامل تنمية اللغة العربية ، ط2، 1993م ، لعابدين ، مكتبة وهبة .
- توفيق قريرة ، المصطلح النحوي وتفكير نحاة العرب ، ط1 ، تونس ، 2003 م، دار معهد علي للنشر .
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ، 1994 ، المغرب ، دار الثقافة
- _مناهج البحث في اللغة، د ط، القاهرة، 1955م مكتبة الأنجلو مصرية
- اللغة بين المعيارية والوصفية ، ط2 القاهرة ، 2000 ، عالم الكتب .
- حسام البهنساوي ، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ، القاهرة ، 1994 م ، مكتبة الدينية .
- حسين الخالدي ، نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، ط1 ، عمان الاردن ، 2006 م ، دار صفا للنشر و التوزيع .
- الحصري ساطح ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، طبعة موسعة ، مصر 1953 م ، دار المعارف .
- حيادرة مصطفي ، قضايا المصطلح اللغوي ، عالم الكتب الحديث ، 2004 م ، بتصرف .
- خليفة المساوي ، المصطلح اللساني و تأسيس المفهوم ، ط1 ، 2013م، دار الأمان ، الرباط .
- خديجة الحديثي ، الشاهد و أصول النحو في كتاب سيبويه ، ط1 ، الكويت، 1974 م ، جامعة الكويت ، ج1 .
- ذهبية همو الحاج ، لسانيات و تداولية الخطاب المدينة الجديدة ، تيزي وزو ، الأمل للطباعة و النشر .
- ر ه ، روبينز ، موجر تاريخ علم اللغة في الغرب ، تر : أحمد عوض ، 1970م ، الكويت علم المعرفة .
- رومان جاكسون ، الاتجاهات الاساسية في علم اللغة ، تر : على حاكم صالح و حسن ناظم ، ط1 ، المغرب ، 2002م ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء .
- راضي عبد الحكيم ، نظرية اللغة في النقد العربي ، القاهرة ، 1980 م ، مكتبة الخانجي .
- زاوي بعورة ، المنهج البنيوي ، ط1 ، الجزائر ، 2001 ، دار الهدى للنشر و التوزيع .
- الفلسفة و اللغة ، ط1 ، بيروت ، 2005م ، دار الطيعة .
- سيبويه ، الكتاب ، تح : عبد السلام هارون ، ط3 ، القاهرة 1988م مكتبة الخانجي ، ج2 .

قائمة المصادر والمراجع

- السيرافي ، شرح كتاب سيبويه ، تح: أحمد حسن المسعدلي و علي سيد علي ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1429م ، دار الكتب العلمية ، ج 1 .
- سعيد حسين بحري، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه ، ط1 مشر ، 1989 م، مكتبة الأنجلو المصرية .
- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، بيروت ، منشورات دار الافاق الجديدة .
- علي أحمد مدكور ، تدريس فنون اللغة العربية ، القاهرة ، 1991م ، دار العواف .
- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي _المزهر في علوم اللغة و انواعها ، تح ، محمد ألو الفصل ابراهيم و غيرهم ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، ج 1 .
- شرح الفية ابن مالك الاسكندرية ، 2000م، دار المعرفة الجامعية ، ج 1 .
- همع اللوامع من جمع الجوامع ، تح :أحمد شمس الدين ، ط 1 ، بيروت ، 1998 م، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ج 1 .
- العكبري ، مسائل خلافية في النحو ، تح : عبد الفتاح سليم ، ط3 ، القاهرة 2007 ، مكتبة الآداب .
- عبد الرحمان الحاج صالح _النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الاساسية ، الجزائر 2007 م : قسم اللسانيات العربية و المعجمات و المصطلحات العربية و علم الترجمة .
- السماع اللغوي العلمي عند العرب و مفهوم الفصاحة ، الجزائر ، 2012 م .
- عبد العقار محمد هلال ، عبقرى اللغويين ، ط1 القاهرة ، 2006م ، دار الفكر العربي ، ج 1 .
- عبد الصبور شاهين ، علم اللغة العام ، ط6 ، بيروت ، 1993م ، مؤسسة الرسالة .
- عمار سياسي، اللسان العربي وقضايا العصر رؤية علمية في الفهم و المنهج و الخصائص، الجزائر 2001م، دار الانتاج والتوزيع.
- عبد العزيز، محمد حسن، سوسير رائد علم اللغة الحديث، القاهرة، دار الفكرى العربي، 1990م.
- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تح: خليل شحادة ، بيروت ،لبنان ، 2001م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

قائمة المصادر والمراجع

- علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تح: ابراهيم الانباري، دار الريان للتراث، ج3
- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، الجزائر 2007م ج1.
- فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الداوخلي، محمد القصاص، د ط، القاهرة، مصر، 1950 م، مكتبة الأنجلو المصرية.
- كريم زكي، أصول تراثية في علم اللغة، 1985، مكتبة الانجلو المصرية.
- مختار لزعر، جيفي ناصر، محاضرات في المدارس اللسانية، ط1، لبنان 2004م، أبحاث الترجمة للنشر و لتوزيع.
- مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله و مناهجه، بغداد، 1960 م، مطبعة الزهراء.
- محمد محمود داوود، العربية و علم اللغة الحديث، القاهرة 2001م، دار الغريب.
- محمد علي الخولي، أساليب تدريس اللغة، القاهرة، 2000، دار الفلاح.
- محمد محمد عوض الله، البهية في قواعد اللغة العربية، ط1، 2003م.
- محمود فهمي حجازي، مدخل الى علم اللغة، د ط، القاهرة، 1997م، دار قباء.
- مختار بولعراوي، دلالية اللفظ و المعنى في التراث اللغوي عند العرب، جامعة بغداد.
- المناوي زين الدين محمد عبد الرؤوف، توفيق علي، مقدمات التعاريف، تح: محمد رضوان، ط1، 1990م، دمشق، دار الفكر، بيروت، دار الفكر المعاصر، مادة صلح.
- منى أحمد أبوزيد، الفكر الكلامي عند ابن خلدون، ط1، بيروت، 1997م المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.
- المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط1، تونس 1998م، الدار العربية للكتاب.
- ميشال زكريا، الملكة اللسانية، في مقدمة ابن خلدون، ط1، بيروت 1986م، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر.
- نور الدين النيفر، فلسفة اللغة و اللسانيات، ط1، 1993م، مؤسسة أبو وجدان للطبع و النشر.
- الخطاب و التخاطب في نظرية الوضع و الاستعمال العربية، الجزائر، 2012 م المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

المجلات والمقالات :

- أمينة جنحي ، صلاح الدين زرال ، ثنائية الوضع و الاستعمال عند عبد الرحمان الحاج صالح ، مجلة القارئ للدراسات الأدبية واللغوية و النقدية ، الجزائر ، 2012م ، مجلد 04 ، عدد 04 .
- ابراهيم بيومي ، أسامة محمد القفاش ، عمر ، بناء المفاهيم ، القاهرة 1415هـ / 1998م ، المعهد العلمي للفكر الاسلامي ، ج1 .
- حمزة المزيبي، مراجعات لسانية (الجزء الثاني) ، كتاب الرياض ، عدد 75 ، 2000م .
- ج، ساحر نظرية المفاهيم بين علم المصطلحات، تر: جواد سماعة، مجلة اللسان العربي، مكتبة تنفيق التعريب، عدد 48 1999م.
- زهير منصور المزيدي ، صيد المفاهيم ، المؤسسة العربية للقيم الاجتماعية الكويت ، 2020 .
- سعاد كوريم ، بحوث و دراسات ، مجلة اسلامية المعرفة ، سنة 15 عدد 70 ، ربيع 1431هـ/2010م .
- شموخ حفرة، بينة الجملة بين الجرجاني، ودي سوسير وعبد الرحمان الحاج صالح، مجلة اللغة العربية، مجلد 24 ، العدد 02 ، 2022م.
- عبد الرحيم البار، مظاهر الفكر اللساني الغربي في اللسانيات العربية الحديثة مجلة اشكالات في اللغة والادب، معهد الادب واللغات بالمركز الجامعي، الجزائر، 2014م، العدد 06.
- عبد الرحمان الحاج صالح ، أثر اللسانيات في النصوص بمستوى مدرسي اللغة العربية ، مجلة اللسانيات ، معهد العلوم اللسانية والصوتية ، جامعة الجزائر، 1973م .
- عبد الرحمان الحاج صالح ، المدرسة الخليلية و مشاكل معالجة أعربية بالحاسوب 1989م ، بحث التخاطب الفي في مؤتمر الحاسوبية، الكويت .
- عبد الرحمان الحاج صالح، الحو العربي ومنطق أرسطو، مجلة كلية الاداب، 2005م، جامعة الجزائر، مجموع ضمن كتاب وبحوث اللسانيات العربية، ع1.
- عياد شكري قراءة اسلوبية في كتاب سيوبه ، منشور ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي ، أعمال ملتقى قراءة التراث النقدي ، جدة ، النادي الادبي، 1409هـ.
- فريدة زمردة، الدراسة المفهومية أنواعها و عناصرها، دراسة مصطلحية، عدد 05 ، 1426هـ/2005م .

قائمة المصادر والمراجع

- محمد سعيد صالح الغامدي، اللغة و الكلام في التراث النحوي العربي، مجلة عالم الفكر، جدة، 2006م، مجلد 34، عدد 03.
- محمد غاين، اسهامات الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في ترقيته المصطلح اللساني العربي، مجلة الوقف الأدبي، اتحاد الكتاب، سوريا، 2011م، عدد 486.
- و، عزيز الطاهر، المفهوم، الرباط، مجلدة المناظرة، 1409 هـ/1979م، ع1.
- نجم الدين عبد الصفا، بين اللغوين العرب و اللغوين الغرب حول مفهوم اللغة والكلام، نادي الادب، 2008م

قائمة المعاجم

- ابو البقاء بن موسى الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش محمد المصري، 1998م، مؤسسة الرسالة.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، 1399هـ/1979م دار الفكر، ج4، مادة فهم.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، ج1، مادة (لغا).
- الخليل بن احمد الفراهيدي، معجم العين، تح: مهدي المخزومي، دار الهلال، ج4، مادة فهم
- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: حسين نصار، مراجعة جميل سعيد عبد الستار، أحمد فراح، الكويت، 1969هـ/1969م، سلسلة التراث العربي (10)، مادة صلح .
- فيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1399هـ/1979م، ج1، مادة صلح .
- محمد النجار، المعجم الوسيط، ط4، 1425هـ/2005م .
- المسدي عبد السلام، قاموس اللسانيات عربي فرنسي /فرنسي عربي، مع مقدمة علم المصطلح، طرابلس، 1914م، الدار العربية للكتاب .

الرسالات والمذكرات :

- بركاهم بلفضل، جدلية الثنائية في اللسانيات الحديثة، 2007/2006م (رسالة ماجستير)، جامعة ابن خلدون، تيارت، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية .
- عبد الحليم معزوز، تأهيل اللسانيات العربية عند تمام حسان و الحاج صالح (دراسة استيمولوجية في المرجعية و المنهج)، جامعة باتنة ، قسم اللغة و الادب العربي ، 2017/2016م، (أطروحة دكتوراه) .

الانترنت

- عبد المنعم عجب أفا، علم اللغة بين ابن جني و فردينا ندي سوسير، نشر في الراكوبة، 25/03/2012 .

- إهداء.

- كلمة شكر وعرفان.

- مقدمة..... أ

- مدخل (الدراسة المفهومية) 4

الفصل الأول: اللغة والكلام في التراث العربي القديم.

المبحث الأول: اللغة والكلام عند علماء العربية المتقدمين.

أولاً: اللغة والكلام عند سيبويه.

1- اللغة عند سيبويه.

1-1: اللغة وضع عند سيبويه..... 22

1-2: اللهجة دلالة على اللغة عند سيبويه..... 24

1-3: اللغة لدلالة على الفصاحة..... 27

2- الكلام عند سيبويه.

1-2: الكلم بدل الكلام والجملة..... 28

2-2: عناصر الكلام عند سيبويه..... 28

2-3: أقسام الكلام عند سيبويه..... 31

2-3-1: الكلام المستقيم..... 32

33.....2-3-2: المستقيم الكذب

33.....3-3-2: المستقيم القبيح

35.....4-3-2: الكلام المحال

ثانيا: اللغة والكلام عند ابن جنى.

1- اللغة عند ابن جنى.

36.....1-1: حد اللغة عند ابن جنى

382-1: أصل اللغة عند ابن جنى

2- الكلام عند ابن جنى

40.....1-2: الكلام هو الجملة عند ابن جنى

41.....2-2: أقسام الكلام عند ابن جنى

ثالثا: اللغة والكلام عند ابن سنان الخفاجى.

1- اللغة عند ابن سنان الخفاجى.

43.....1-1: مفهومها

43.....2-1: أصلها

2- الكلام عند ابن سنان الخفاجى.

45.....1-2: التوجيه اللغوى للكلام

48.....2-2: الكلام بوصفه حروفا عربية

المبحث الثاني: اللغة والكلام عند علماء العربية المتأخرين.

أولاً: اللغة والكلام عند ابن خلدون.

1- اللغة عند ابن خلدون.

1-1: اللغة فعل لساني.....51

1-2: الملكة اللغوية عند ابن خلدون.....54

2- الكلام عند ابن خلدون.

1-2: الكلام و وظيفة التواصل.....56

2-2: الكلام ومقتضى الحال.....57

ثانياً: اللغة والكلام عند السيوطي.

1- اللغة عند السيوطي.....58

2- الكلام عند السيوطي.....59

3- بين اللغة والكلام عند السيوطي.....60

الفصل الثاني: اللغة والكلام في الدرس اللساني الحديث.

المبحث الأول: اللغة والكلام عند اللسانيين الغربيين المحدثين.

أولاً: اللغة والكلام عند فرديناند دي سوسير.

1- اللغة عند دي سوسير.....65

1-1: اللغة ظاهرة اجتماعية.....67

1-2: اللغة شكل لا مادة.....68

2- الكلام عند دي سوسير.....69

3- ما يميز اللغة عن الكلام.....70

ثانيا: اللغة والكلام عند أندري مارتينييه.

1- اللغة عند أندري مارتينييه.....71

2- الكلام عند أندري مارتينييه.....73

3- بين اللغة والكلام.....74

ثالثا: اللغة والكلام عند نعوم تشومسكي.

1- اللغة عند تشومسكي.

1-1: الكفاية بدل اللغة.....74

2- الكلام عند تشومسكي

2-1: الأداء بدل الكلام.....77

3- الكفاية اللغوية والأداء اللغوي.....78

المبحث الثاني: اللغة والكلام في الدرس اللساني العربي الحديث.

أولا: اللغة والكلام عند تمام حسان.

1- اللغة عند تمام حسان.....84

2- الكلام عند تمام حسان.....86

3- الفرق بين اللغة والكلام عند تمام حسان.....87

ثانيا: عند عبد الرحمان الحاج صالح وآراءه في اللغة والكلام

1_الوضع للدلالة على الكلام.....88

مقابلة بين علماء العرب القدامى واللسانيين الغرب المحدثين في قضية اللغة والكلام.

أولا: مقابلة بين الخليل وسيبويه مع دي سوسير وتشومسكي.....94

ثانيا: بين أعمال النحاة العرب وأعمال اتجاه النحو التوليدي.....95

ثالثا: مقابلة بين ابن جني ودي سوسير.....96

الخاتمة.....100

قائمة المصادر والمراجع103

- فهرس الموضوعات.

- ملخص

الملخص:

يهدف هذا البحث الموسوم: اللغة والكلام في التراث العربي القديم والدرس اللساني الحديث دراسة في المفهوم، إلى عرض ما قدمه علماء العربية قديما من جهود في توضيح مفهومي اللغة والكلام، وكذا الأفكار التي قدمها المحدثين الغربيين منهم والعرب على اختلاف اتجاهاتهم حول قضية اللغة والكلام، لنخلص إلى أنّ هذه الثنائية قد ضربت جذورها في التراث العربي القديم، وأن القواعد والمرتكزات التي حلل بها العرب القدامى هذه القضية كانت علمية، وتتوافق إلى حد بعيد مع النظريات اللسانية الحديثة.

وتبقى هذه الدراسات تحتاج للتخصيص في بحوث أكثر تعمقا وإحاطة وإماما، وأن ثنائية اللغة والكلام لها أفق واسعة في الدرس اللساني الحديث انطلاقا من التراث.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الكلام، المفهوم، التراث العربي، الدرس اللساني...

Abstract:

This research tagged language and speech in the ancient Arab heritage and the modern linguistic lesson in the concept, to present what the ancient Arabs presented, as well as to monitor the efforts made by Western and Arab modernists of different orientations on the issue of language and speech and the concepts, that were lauched on each of them to conclude this dualism is rooted in the ancient Arab heritage, and that the rules and foundations by which the ancient Arabs, analyzed this issue are purely scientific and in line with modern linguistic theories.

These studies still need to be specialized in these topics expecially, Since this bilingualism and speech, has broad horizons in the ancient and modern lesson.

Keywords: language , speec, Concept, ancient heritage, modern linguistic...